

جامعة الأزهر
كلية البنات الإسلامية
بأسيوط

المجلة

أنسنة الوحى
عند محمد أركون
دراسة نقدية

إعـــداد دكتـــــــور
علاء حسن جابر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له نزل الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – ﷺ – صفيه من خلقه وحبيبه، ختم الله به الرسالات، وهدى به من الضلالات، شرح الله له صدره، ورفع ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره وافترض على العباد محبته وتعظيمه وتوقيره، والقيام له بجميع حقوقه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه ومن سار سيرته واستن بسنته إلى يوم الدين

بعد

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد، الذي أنزله على رسوله – ﷺ – عن طريق الوحي، شأنه في ذلك شأن الكتب السماوية، ولم يكن للنبى – ﷺ – إلا أمانة النقل – نقل ما يوحى إليه إلى أصحابه – رضى الله عنهم– فالقرآن الكريم آياته، وسوره، وترقيمه من عند الله تعالى، أمر إلهى توقيفي، وما كان للنبى – ﷺ – فيه من عمل إلا تبليغه كما أنزل، يقول –تعالى–: ﴿ ﭐ □ □ لج لح لخ لم * مج مح مخ مم * نج نح نخ نم نه * هم □ يج يح ﴾[1]، ويقول –سبحانه–: ﴿ ﭐ □ □ □ □ □ * □ □ □ □ * □ ني نى □ ير * □ ين □ ﴾[2].

(١) سورة القيامه الآيات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥

نجمه جبريل على النبى – ﷺ – ونجمه النبي على الصحابة وقيض الله تعالى – بعد حفظه للقرآن الكريم، رجالًا حفظوه في الصدور، وفي السطور؛ ولقد قام هؤلاء الرجال على تلك المهمة أتم قيام، فقاموا بواجبهم على أكمل وجه في حفظ القرآن ودراسته، وتعليمه، وجمعه، والاغتنام به حتى وصل إلينا متواترًا يرويه جيل عن جيل.

ولقد تفرد القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية السابقة بحفظ الله– تعالى – له فلم تمتد إليه يد التحريف، كما حدث مع الكتب السماوية السابقة ولقد عز على المرجفين من أهل الكتاب أن يرووا القرآن محفوظًا من التحريف كشأن كتبهم، فبدأ هؤلاء في إثارة الشبهه حول القرآن، وكان مسلك هؤلاء في هذا محاولات شتى، منها إثبات الشبه حول القرآن، وكان مسلك هؤلاء في هذا محاولات شتى، منها إثبات أن القرآن ليس كتاب إلهى، وأخرى، أنه كلام محمد – ﷺ – وتارة أخرى أنه كتاب ملفق من الأديان السماوية السابقة، أو أنه تأثر فيه بشعراء عصره... إلخ.

وجاء عصر ما يسمى بالتنوير الغربي هذا العصر الذي ظهرت فيه الوضعية المادية التي دعت إلى تأليه الإنسان، ورفض ما يسمى بعالم الغيب، وطبقوا هذا في المجتمعات الغربية، لا سيما، بعد ما يسمى بعصور الظلام، أو العصور الوسطى التي حجرت على عقول العلماء، ودعت إلى الجهل، ونشرت الخرافات والأساطير، فقام هؤلاء على أديانهم المحرفة ورفضوها ورأووا أنها تتعارض مع العقل، والعلم.

ثم حدثت النهضة العلمية في أوربا، وافتتن كثير من العرب والمسلمين بهذه الحضارة الغربية المادية، واعتقدوا أن اللحاق بالحضارة الغربية لن يكون إلا

بـنفس المـنهج الغربـي الـذي رفـض الـدين، ورفـع العقـل والإنسـان، وتنكـر للمقدسات، ولما كان المغلوب دائمًا مولعًا بتقليد الغالب، قام أناس من بني جلدتنا يتكلمون بلغتنا، ويدينون بديننا، بنشر هذه الأفكار الغريبة الوافدة، وهم كثر في بلداننا، وكان من بين هؤلاء الدكتور /محمد أركون، العربي الأصل، المسلم الدين، الذي تأثر تأثرًا شديدًا بأساتذته في السوربون، فزعم أنه جاء بعلم حديث يحاول من خلاله تفكيك النص الديني ، زاعمًا أن الوحي الذي نزل على النبي – ﷺ – تأثرًا بكثير من المؤثرات التي أفقدته قدسيته وألوهيته، وأن مجرد نطق الرسول – ﷺ – بآيات القرآن الكريم، أخرجه من نص إلهى إلى كلام بشرى وان اللغة التي يتلى بها القرآن وهي العربية – هي لغة الرسول– عليه السلام وليست إلهية، وأن عوامل الثقافة والتاريخ أثرت في القرآن الكريم، وأنه –ﷺ – تأثر باليهودية والنصرانية، وغير ذلك من المزاعم والإفتراءات التي روجها هو وأذنابه من المتغربين لذلك كان لا بد من تفنيد مزاعم هؤلاء الناس والرد عليهم لذا شرعت مستعينًا بالله تعالى بالكتابة في هذا، وأسميته أنسنة الوحي عند محمد أركون دراسة نقدية

وقد جاء هذا البحث في:

مقدمة: **اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وفيه ستة مباحث:**

المبحث الأول: **محمد أركون نشأته وحياته.**

المبحث الثاني : **تحديد المصطلحات عند أركون.**

المبحث الثالث : **الوحي في الإسلام.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الوحي وأنواعه .

المطلب الثاني: إمكان الوحي ووقوعه .

المبحث الرابع: **الوحي عند الفلاسفة المحدثين .**

المبحث الخامس: **شبهات المستشرقين حول الوحي ودحضها .**

المبحث السادس: **موقف محمد أركون من الوحي ومدى تأثره بالمستشرقين وفلاسفة الغرب .**

خاتمة: **ضمنتها أهم النتائج.**

والله اسأل أن يجعلنا من المدافعين

عن دينه ونبيه وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه.

المبحث الأول
محمد أركون
(نشأته وحياته)

مولده ونشأته

محمد أركون باحث، مفكر جزائري، ولد أركون في تاوريت ميمون في منطقة القبائل الكبرى بالجزائر عام ١٩٢٨ من عائلة بربرية، دخل المدرسة الابتدائية، لكنه غادر هذه المنطقة في سن التاسعة ليلتحق بأبيه الذي كان يملك دكانًا للبضائع في منطقة عين العرب " قرية يكثر فيها الفرنسيون بالقرب من مدينة وهران "، ولأن لغته الأصل " الأمازيغية" اضطر إلى تعلم العربية والفرنسية جنبًا إلى جنب، وتأثر بخاله المنتمي إلى إحدى الطرق الصوفية، وكان يحضر معه مجالس الصوفية في تلك القرية ثم أتم تعليمه الثانوي في مدرسة مسيحية عام ١٩٤٥م.

بعد ذلك دخل الجامعة لدراسة الأدب العربي في جامعة العاصمة الجزائرية ما بين ١٩٥٠–١٩٥٤م، وفي الأول من نوفمبر عام ١٩٥٤ دخل جامعة السوربون ليقدم امتحانه عام ١٩٦٥م قدم رسالته لدرجة الدكتوراه عن ابن مسكويه عام ١٩٦٨ م، وفي ١٩٧١ م أصبح أستاذًا للفكر الإسلامي في جامعة السوربون، وأستاذًا زائرًا في عدد من الجامعات، والمعاهد العالمية، ولا سيَّما معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وكان له اهتمام واضح بالفكر الباطني، وفي عام ١٩٩٩م أسس معهدًا للدراسات الإسلامية في فرنسا، وعمل أستاذًا محاضرًا. بجامعة ليون وأستاذًا للغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس في الفترة من ١٩٧٢–١٩٧٧م وألقى العديد من الدروس، والمحاضرات، بالعديد من المدن والجامعات عربية، وغربية، وشغل العديد من العديد من المناصب.

أهم مؤلفاته:

كتب أركون مجموعة من الكتب باللغة الفرنسية، أو الإنجليزية ترجمت إلى عدة لغات، ومما ترجم من كتبه إلى العربية

١-نقد العقل الإسلامي .

٢-الفكر الإسلامي قراءة علمية.

٣-الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

٤-قضايا في نقد العقل الديني.

٥- نزعة الأنسنة في الفكر العربي.

وقد أخذ أركون على عاتقه القيام بمهمة تحليل، ونقد، وتفكيك النصوص التأسيسية للإسلام بما يتناسب مع العلم المعاصر والحداثة وما وراء الحداثة لا سيما في علمي أصول الدين، وأصول الفقه، لأنهما يمثلان أساسًا للتراث الإسلامي، وكل ذلك باسم التجديد للتراث[1] وهي الدعوة التي تردد من آن لآخر، وليس المقصود، وهو التجديد كما يزعمون، ولكنه دفن التراث، والقضاء عليه لإحلال فكر الحداثة محله.

والمتأمل لنشأة محمد أركون يجد أن الحياة الاجتماعية، وتكوينه العلمي كان لهما الأثر الواضح في تكوين خلفيته الفكرية، فقد درس المرحلة الثانوية في مدرسة تنصيرية، وحضر الحلقات الصوفية ودرس في السوربون على عدد من المستشرقين الفرنسيين، وكان له اهتمام واضح بالفكر الباطني.

---

(١) هذه الترجمة مستقاة من مجلة الكلمة العدد ٤٢ لسنة ٢٠١٠، ومن مقال بمجلة الحوار المتمدن العدد ٥٧٥ لسنة ٢٠٠٣ لإدريس ولد قابلة بعنوان جولة فى فكر محمد أركون، ومن الموسوعة الحرة ويكيبدا. وانظر الأثر الإستشراقي فى موقف محمد أركون من القرآن الكريم د/ محمد بن سعيد السرجاني تاريخ النشر ٢٠١٠/١٠/٤.

الدوافع التي أثرت في محمد أركون:

لا شك أن البيئة التي يتربى فيها الإنسان وهو صغير تؤثر في اتجاهاته عندما يكبر، ويكون لها الأثر الفعال في تكوين شخصيته، ولقد كان للبيئة التي نشأ فيها محمد أركون أثر كبير في تفكيره، وتكوينه العقلي فقد ذكرت موسوعة " ويكبيدا" أن محمد أركون تربى عند الآباء " البيض" وهي معلومة على جانب كبير من الأهمية؛ لأن هؤلاء تنظيم سرى مكنت له فرنسا بعد احتلال الجزائر في عام ١٨٣٠م، وكان أغلب نشاطه في منطقة القبائل التي ولد فيها أركون، وقد ركزت هذه الإرساليات على تلك المنطقة... وحاربت الإسلام واللغة العربية بضراوة، وعملت على إحياء اللهجات المحلية لتكون وحدها اللغة الأصلية للجزائر، وقد تمكن الاستعمار الفرنسي من تخريج بعض النساء والرجال المنسلخين صراحة، أو خفية من دينهم، شكلوا الآن أحزابًا سياسية وجمعيات ثقافية تدعو إلى التحرر من الإسلام والعربية، ولا يستبعد أن يكون أركون ممن رباهم الرهبان، وكونوهم لضرب الإسلام علميًا مع العلم أن الرجل – وهو صاحب كرسي الدراسات العربية بالسوربون لم يكن يكتب إلا بالفرنسية، وبالانجليزية حسب قوله.) (١)

والواضح من النص السابق أن محمد أركون نشأ منذ نعومة أظفاره على يد هؤلاء الرهبان، والمبشرين، والعلمانيين الذين كان لهم أكبر الأثر في تكوين عقله بعد ذلك، لا سيَّما مرحلة الثانوي، وهي المرحلة المهمة، والخطيرة في تكوين الإنسان.

---

(١) انظر محمد أركون وعلمنة الإسلام / عبد العزيز كحيل ضمن يقظة فكر ويكيبدا الموسوعة الحرة.

هذه العوامل وغيرها مما ذكرته جعلت محمد أركون ينسلخ من إسلامه وعروبته ويتنكر لهما محاولًا رد الجميل لأصحاب الفضل عليه ممن كانوا سببًا في وصوله إلى كرسي الدراسات الإسلامية بالسوربون.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تخطاه إلى ما هو أكبر من ذلك، وهو التشكيك في كل الثوابت الإسلامية والعربية، والنيل من مقدسات هذا الدين، بل ومحاولة النيل من أقدس مقدساته وهو القرآن الكريم يقول أ/ عبد العزيز كحيل (في أواخر سبعينيات القرن العشرين ألف الطبيب الفرنسي " موريس بكاي" كتابه " القرآن والكتاب المقدس والعلم " الذي حاكم فيه الكتب السماوية إلى الحقائق العلمية التجريبية في كل الميادين، وخلص إلى أن التحريف طال التوراة والإنجيل، بينما تتوافق الحقائق القرآنية مع آخر ما قطع العلم بصحته وثباته، وحقق الكتاب شهرة عالمية، وترجم إلى لغات العالم، لكن محمد أركون لم يرقه ذلك، ولم يسلم بما توصل إليه بوكاي من نتائج باهرة، بل قال بالحرف " إن بوكاي ألَّف هذا الكتاب تزلفًا للمسلمين[١].

(١) نفس المرجع.

المبحث الثاني
تحديد المصطلحات

تقديم:

يعتبر الوحي عند المسلمين المصدر الأساسي للمعرفة، فهو المصدر الأساسى للتشريع الإسلامي ، كما أنه يمثل منبع يقينهم وإيمانهم بما جاء به النبي – ﷺ– من عند الله تعالى، وبما أن آيات القرآن تدعو إلى الاجتهاد وإعمال العقل، ظهرت مدارس إسلامية مختلفة، أصولية، فقهية، حديثية، عقدية، تعاملت مع نصوص الوحي الإلهي، لتفسير آياته، واستخلاص الأحكام منها.

ثم ظهرت المدارس الفلسفية قديمًا بعد ترجمة الفلسفة اليونانية وأخذت هذه المدارس على عاتقها قضية التوفيق بين العقل، والنقل إيمانًا منها بأن ما جاء به الوحي لا يتصادم مع صريح العقل.

ولكن بعد أن شهدت الأزمنة الحديثة تحولات عميقة بسبب تطور الثقافة العلمية والفلسفية، وظهور ما يسمى بالاستشراق ودراساته، وبعد الثورة الأوربية على الدين في أوربا، ظهر ما يسمى بحقول معرفية جديدة اهتمت بنقد وتفكيك الخطاب الديني ، باعتباره إنتاجًا معرفيًا من ضمن إنتاجات أخرى، ومنه إعادة قراءة التراث الإسلامي ، وتأويله وفق آليات منهجية حديثة، وهذا ما فعله المفكر الجزائري محمد أركون في إطار ما يسمى –عنده وعند أساتذته في السوربون الإسلاميات التطبيقية –[1] التي تسعى إلى إحداث قطعية جذرية مع الدراسات الإسلامية التقليدية – على حد زعمه – حيث تطغى عليها العصبيات الاجتماعية، أو المذهبية، كما يعتبر الاجتهاد حسب أركون إمتيازًا يحتكره الفقهاء، ومن أجل هذا يدعو أركون إلى تجاوز المفهوم التقليدي للإجتهاد،

(١) انظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د. محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ص ٥ – ٢١، بتصرف واختصار .

والممارسة العقلية المحدودة والمرتبطة به، وإعادة النظر في التفسير، والشروح الموجهة – للنص المقدس – بوجه عام، والنص القرآني والممارسة النبوية على وجه التحديد مستعينًا بما يسميه العلوم التحليلية، والإنسانية، والاجتماعية الغربية بمختلف تخصصاتها مثل اللسانيات، علم النفس، علم الاجتماع الفينومولوجيا(١)، الأنثربولوجيا... إلخ؛ لأن القراءة القديمة في اعتقاد أركون، تحول دون تحقيق التقدم الفكري بسبب عجزها المنهجي، بالإضافة إلى إدعاء الفقهاء أنهم قادرون على معرفة وفهم كلام الله بشأن متطابق مع مقاصده النهائية، والكلية، وهو ما يبرر لهم إضفاء القداسة على اجتهادهم، وبلورتها في شكل أحكام شرعية.

وهو ما دفع أركون إلى محاولة الإجابة عن تساؤلات، وإشكالات جديدة ناتجة عن تغير المنظومة المعرفية، واختلافها عما كان سائدًا في التراث الإسلامي .

ولذلك آثرت قبل التعرض إلى مفهوم النص الديني عند أركون والنص القرآني على وجه التحديد أن أعرض بعض التعريفات التي يطلقها أركون، ماذا نقصد بالنص، وكذا الخطاب.

---

(١) الفينومولوجيا: ورد عند الألماني ليمبرت في كتابه الأورغانون الجديد للدلالة على نظرية الظواهر الأساسية للمعرفة التجريبية، وعند كانت للدلالة على مثل هذا المعنى ولكن في حد أضيق، وعند هيجل: للدلالة على المراحل التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى اتلشعور بالروح، وعند هاملتون للدلالة على فرع من علم الفكر، وهو الذى يلاحظ مختلف الظواهر الفكرية ويعممها . انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، منتدى كلية الآداب جامعة عين شمس قسم الدراسات الفلسفية لسنة ٢٠١٢م .

النص الديني:

١- مفهوم النص :

النص لغة : في اللغة العربية تدل كلمة النص في المعاجم العربية على معان متعددة حدد ابن منظور معنى النص في خمس دلالات وهي : الرفع، التحريك، التقصي، الوقف، المنتهى، وفيها يتداخل المحسوس مع المجرد، ويدل مجملها على البروز والظهور، وغاية الشيء ومنتهاه أي إبراز ما خفي و إظهاره، والانتقال من نقطة بداية إلى نقطة نهاية، وما يقتضيه هذا الانتقال من تتابع، وتتال وترادف. [١]

وفى اللغة الأجنبية تدل كلمة النص في القاموس الفرنسي على : (مجموعة الكلمات أو الجمل التي تشكل مكتوبًا " نص كتاب" وبصفة عامة فإن النص هو كل مكتوب مطبوع أو مخطوط، وبصفة خاصة النص هو مجموعة جمل موجهة للتلاوة والحفظ أو الغذاء نص أغنية) [٢]**.**

النص اصطلاحًا: **النص في اصطلاح علماء المسلمين له عدة تعريفات بحسب مجال البحث، في علم أصول الفقه يعرفه الإمام الشافعي بقوله :**

(إنه المستغنى فيه بالتنزيل عن التأويل) [٣]

والمقصود بذلك نصوص الوحي، لأن الوحي هو التنزيل الذي تضمن مسائل نص عليها وأمر بها ويمكن تقسيم النص الديني إلى قسمين أساسين :

النص الأول: هو القرآن الكريم، والثاني : هو النص النبوي .

---

(١) لسان العرب ابن منظور جـ ٧ من ٩٧، ٩٨ ط.دار إحياء التراث العربى بيروت.

(٢) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان أزوالدويكرو، وجان ماري سشا يغرس ترجمة منير عياش ص ٥٣٣ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت ٢٠٠٧.

(٣) الرسالة : للإمام الشافعى تحقيق أحمد محمد شاكر ص ١٤ ط المكتبة العلمية بيروت.

وتوجد مفاهيم أخرى يمكن إدراجها ضمن دلالة النص مثل الفقرة والجملة والكتاب. (١)

والمعنى الحديث للنص مستمد من الدراسات المعاصرة الغربية في مجال العلوم الإنسانية مثل السانيات، والسيمائيات، والأركيولوجيا لكنه امتداد إلى الخطاب العربي المعاصر، والذي تأثر بنتائج تلك العلوم حيث يعرف – نصر حامد أبو زيد– النص بقوله:

(هو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليًا يحمل رسالة، وسواء كانت تلك العلامات، علامات باللغة الطبيعية – الألفاظ- أم كانت علامات بلغة أخرى، فإن انتظام العلامات في نسق يحمل رسالة يجعل منه نصًا) (٢)

وهذا التعريف تعريف شائع عند الحداثيين الغربيين بأصله اللاتيني إن مفهوم النص عند – نصر أبو زيد– قد تم طرحه على مستويين :

المستوى الثقافي، والمستوى الدلالي " السيميائي" ففي المستوى الأول يرى أن (النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي) ومعنى ذلك أنه كما لا يمكن الحديث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع، كذلك لا يمكن الحديث عن نص مفارق للثقافة والواقع أيضًا، بالإضافة إلى أن ألوهية مصدر النص، لا تنفي واقعية محتواه، ولا تنفي من ثم انتماؤه إلى ثقافة الناس فالعلاقة بين النص والثقافة (علاقة جدلية معقدة تتجاوز كل الأطروحات

---

(١) إشكالية تاريخية النص الديني فى الخطاب الحداثى العربى المعاصر د/ مرزوق العمرى رسالة دكتوراة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسطنطنية ٢٠٠٦ ص ٣١.

(٢) النص والسلطة والحقيقة د/ نصر حامد أبو زيد ص ١٥٩ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت ط ٤ ٢٠٠م.

الأيدلوجية في ثقافتنا المعاصرة) [1].

وهذا ما يؤكده أركون، عبد المجيد الشرفي، وغيرهم من الباحثين العرب حيث يتفقون على إدارج الوحي، والثقافة، والتاريخ في السياق البشري والبنية الثقافية للمجتمع

٢- مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة: **وردت كلمة خطاب في اللغة العربية بمعنى الكلام :**

(الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام، ومنه الخطبة وهي الكلام المنثور المشبع) [2]

أما في اللغة الأجنبية فالخطاب يطلق على مجال اللسانيات الحديثة

الخطاب اصطلاحًا: **يعرفه محمد عابد الجابري بأنه (كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض نية التأثير على السامع أو القاريء مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والملابسات التي تم فيها، ومعنى ذلك أن الخطاب يشكل طرفين هما الكاتب والقاريء وكلاهما يسهم في نشأة الخطاب؛ لأن الكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقاريء يتلقى هذه الفكرة أو الوجهة من النظر كما**

---

(١) مفهوم النص (دراسة فى علوم القرآن د/ نصر حامد أبو زيد ص ٢٥ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت ط ٢٠٠٥/٦ وانظر نقد النص /على حرب ص ١٢ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت ط ٤ /٢٠٠٥ وكذلك (فى التراث والتجاوز على أو دليل ص ٢٢ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت ط أولى ١٩٩٣م ، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعى / محمد مفتاح ص ٢٨-٢٩ ط المركز الثقافي العربي المغرب بيروت.

(٢) لسان العرب / ابن منظور جـ ١ ص ٣٦٠.

يستخلصها من النص، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له.) [١]

إذن الخطاب ليس هو النص، وإنما النص مضافًا إليه سلسلة من التفاعلات بين مرسل الخطاب، ومصدره، وبين مستقبل الخطاب، والمتفاعل معه، هذه السلسلة تؤدي في التفاعل الأخير إلى إحداث تعديل وتطوير، وإضافة أو حذف من ذلك النص الذي به يبدأ الخطاب ولكن لن يكون في النهاية كما هو إنما سيكون صيغة أخرى) .[٢]

٣–مفهوم النص الديني عند محمد أركون:

يميز محمد أركون بين نوعين من النص الديني، النص الديني التأسيسي والنص الديني الفرعي، أو الثانوي.

النص التأسيسي : (ويتمثل في النصوص الكبرى " التوراة والإنجيل والقرآن " وتتضمن المعنى الأولى والأصلي الذي يعلو على كل مناقشة، ولا يخضع للأخذ والرد، إنه مطلق لا يناقش، غير أن الأنظمة اللاهوتية ترى أنه على الرغم من أن هذا المعنى الأول مودع إلى الأبد في النصوص التأسيسية إلا أنه يمكن استخراجه، وبشكل صحيح من قبل السيادات المأذونة " الفقهاء"). [٣]

وتعتقد هذه السيادات أنها (وحدها القادرة على فهم المعنى الأول ومن ثم معرفة تأويله، واستخراج المعنى الصحيح له، لكنها تتناقض مع ذاتها، حيث تمنع إخضاع ذلك المعنى للنقد والمناقشة، وفي الوقت ذاته تقوم بمناقشته انطلاقًا

---

(١) الخطاب العربى المعاصر د/ محمد عابد الجابرى ص ١٠ ط بيروت ط ١٩٩٩/٦.

(٢) إشكاليات الخطاب العربى المعاصر /كمال عبد اللطيف ص ٦٦ ط دار الفكر دمشق ٢٠٠١.

(٣) الإسلام أوربا، الغرب د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٨ ط. دار الساقي بيروت ط ٢: ٢٠٠١.

من فهمها هي، باعتبار أنها مؤهلة لفهمه وبالتالي هي الوحيدة الموكلة بتأويله وتفسيره، وعن ممارسة جهل مؤسس من جهة أخرى، إذ بفعلها ذلك تقوم بعملية قلب وتجميد بمعنى نص الوحي، في حين أنه فوار بالمعنى، غزير، مجازى، متشعب) (١)

وفي هذا يرفض أركون التفسير الأحادي، والضيق للقرآن الكريم والدعوة إلى الالتزام به من غير نقد أو مناقشة؛ لأن القرآن عنده عبارة عن خطاب مجازي رمزي لا يمكن اختزاله إلى معنى واحد، أو تحويله إلى قوانين ثابتة، وقوالب جامدة لتلبية حاجات المجتمع !!!

وهو يرى أن وظيفة النص التأسيسي تكمن في صياغته اللغوية في أن يقول المعنى الصحيح، والحقيقي عن الوجود البشري، وتكمن مهمته أيضًا في النص على القوانين الموضوعية، والمثالية المقدسة، والتي لا يمكن تجاوزها، ويُطلب من المؤمن ضرورة التقيد بهذه القوانين من أجل الحفاظ على وجوده داخل المعنى الصحيح والحقيقي) (٢).

النص الثانوي: (المقصود بالنصوص الثانوية، أو الثانية كل النصوص الأخرى ماعدا القرآن، فالقرآن هو النص التأسيسي الأول، ثم يجيء الحديث بعده مباشرة، وقد رُفع إلى مرتبة الأول تقريبًا في زمن الشافعي، وهي تتمثل في النصوص التي تعكس مختلف أنواع الإسقاط، والتلاعب لآثار المعنى اللاحقة على المعنى الأصلي، وبالتالي تصبح تلك النصوص الذرائعية قابلة لكل أنواع

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩.

(٢) الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٤٦-٤٧ ط دار الساقى بيروت.

الإسقاطات، أي لكل أنواع التقديس، والأسطرة، والأدلجة؛ لأن فهم النصوص التأسيسية لم يكن واحدًا على مر الأجيال والقرون......) [١]

مفهوم النص القرآني عند أركون :

تؤكد الرؤية الحداثية على الطابع الشفوي للنص القرآني إذ لا يصح في اعتقادهم إطلاق مصطلح (قرآن إلا على الرسالة الشفوية التي بلغها النبي – ﷺ– إلى معاصريه كما أنهم يثيرون الشكوك حول المصحف لكونه دون في فترة متأخرة عن فترة النبوة استبعدوا فيها عدم وقوع الوضع، والاضطراب) [٢].

ولهذا يجد القاريء لكتب محمد أركون، ومعه باقي جيل ما يسمى بما وراء الحداثة أمثال نصر أبو زيد، محمد عابد الجابري، طه حسين وغيرهم أهم ما يرمون إليه هي مهمة النقد التاريخي للقرآن الكريم ونسأل أركون ماذا تعني كلمة قرآن عنده ؟!!!!

(القرآن في اللغة العربية مصدر للفعل قرأ، وفي القرآن نفسه نجد أن جذر المادة اللغوية قرأ يدل بالأحرى على معنى التلاوة؛ وذلك لأنه يفترض مسبقًا وجود نص مكتوب أثناء التلفظ به للمرة الأولى من قبل محمد) [٣].

ولا يستغرب القاريء عدم الصلاة على رسول الله –ﷺ– بعد ذكر اسمه – فإن المتفحص لكتب أركون لن يجد أنه ذكر النبي وصلى عليه لا بحرف، ولا بكلمات.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٧

(٢) الإسلام بين الرسالة والتاريخ / عبد المجيد الشرفى ص ٤٧ ط دار الطليعة بيروت ط أولى ٢٠٠١م.

(٣) الفكر الإسلامي نقد وإجتهاد د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٧٣ ط المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٩٣.

والفكرة الأساسية حسب أركون تكمن في (القراءة المتطابقة مع الخطاب المسموع لا المقروء، ولذا يفضل استعمال مصطلح" الخطاب القرآني " للتعبير عن هذه الفترة الشفهية، وليس النص القرآني لأن عملية التدوين لم تحصل إلا بعد ذلك.

ويرد على أركون بأن تعريفه مجرد اجتهاد لأن صاحب لسان العرب يعرفه مادة (ق ر أ) بمعنى القرآن والتنزيل العزيز، يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه- صلى الله عليه وسلم- كتابًا وقرآنًا وفرقانًا ومعنى القرآن الجمع، ويسمى قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها وقرأت الكتاب قراءة وقرآنًا ومنه سمى القرآن). (١)

ومعنى ذلك أن كلمة قرآن تفيد معنى الجمع، وأيضًا النص المكتوب والقابل للقراءة.

وبعد عرضي لأسلوب المراوغة عند أركون في حديثه عن الخطاب، والنص ومحاولة إخراج القرآن من قداسته على أنه نص عرضة للنقد والتفكيك والشك، تبرز مهمة أركون الأساسية في الأنسنة.

ثالثًا - أنسنة النص:

١-مفهوم الأنسنة في العصر الحديث:

إن مصطلحات النزعة الإنسانية، والأنسنة، والأنسانوية تأتي في اللغة العربية كترجمات للمصطلح الفرنسي والتي تعني في اللاتينية (تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كانسان متميز عن سائر الحيوانات.) (٢) humanista

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) الموسوعة الفلسفية د/ عبد المنعم الحفني ص ٧١ بيروت دار ابن زيدون مكتبة مدبولى القاهرة ط أولى ١٩٨٦.

(ولقد اقترن ظهور الأنسنة، أو المذهب الإنساني بشكل عام بحركة الإصلاح الديني ، وعصر النهضة في أوربا في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل، ومن أهم الأمور التي أهتم بها الإصلاح الديني خاصة في القرن السادس عشر، هو الإعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر، وزعزعة السلطة العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة دون الخروج النهائي عن الإطار الأنطولوجي[١] العام للوحي ، كما تم رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، وجعل علاقة الإنسان بالله مباشرة، كما تم رفض فكرة احتكار تفسير الكتاب المقدس، وإعلان حرية الإيمان.) [٢]

ونحن لا نختلف مع هؤلاء في تسلط الكنيسة فيما يسمى بعصور الظلام، أو العصور الوسطى، وتسلط الكنيسة، ولكن ما ينسحب على المسيحية لا ينسحب على الإسلام، فليس في الإسلام كهنة ولا حجر ولا واسطة بين العبد وربه، كما أن الإسلام هو الذي دعا إلى استعمال العقل، وبالتالي لم يحجر عليه كما فعلت الكنيسة، ولكن ما هو موقف أركون من نقد القرآن، وأنسنة الوحي؟!!!

يرى أركون (أن العقلانية هي جوهر الأنسنة حيث يمثل العقل السلطة المرجعية

---

(١) الأنطولوجيا هي: بحث الأمور العامة، وهي لا تختص بقسم من أقسام الموجود، التي هي الواجب والجوهر، والعرض، بل تطلق على الموجود من حيث هو كذلك فتعم جميع الموجودات، فهي على ذلك قسم من أقسام ما بعد الطبيعة . انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، منتدى كلية الآداب – جامعة عين شمس – قسم الدراسات الفلسفية لسنة ٢٠١٢م، وملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة والآداب ١٥/٤/٢٠١٠م .

(٢) الأنسنة والتأويل فى فكر محمد أركون د/ كيحل مصطفى ص ٥٦ ط دار الأمان الرباط المغرب ط أولى ٢٠١١م.

المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، تجعل الإنسان هدفها الأول والأخير، عندما تخلصه من كل أشكال المرجعيات الدينية الأخرى، لقد بات الإنسان مصدر المعرفة، ومرجعها الأول بدل النص المقدس عن طريق العقل.) (١)

ومعنى هذا أن الإنسان هو مرجع ذاته، وليس الدين، أو السلطة السياسية فهو المسؤول الوحيد عن تحقيق مصيره، والمشرع لمجتمعه وممارساته بعيدًا عن هيمنة اللاهوت ومعاني القداسة على حد زعم أركون.

يرى أركون أن الأنسنة تقوم على معارضة فلسفة التعالي، والمفارقة وكل فلسفة تحيل البشرية على عالم آخر، غير هذا العالم الذي يعيش فيه الإنسان، ولهذا السبب يعيد أركون النظر في قداسة النص القرآني ، بغرض الكشف عن آليات تعاليه، وطبيعته اللغوية، وتاريخ تكوينه، ويرى أن الدين عبارة عن فروض، ومناسك، وأحكام ومعارف مقيدة في كتب مقدسة مدونة، يراجعها العلماء والحفاظ، والمكلفون بالإفتاء، ولا توضع أبدًا موضع البحث النقدي ويرى أن هذه الأمور تمثل قيودًا تكبل الفكر، وتتناقض مع مفهوم الأنسنة التي تقوم على تحرير الذات الإنسانية من كل أشكال الاستلاب والتبعية وذلك لن يتحقق :(إلا عند الانتقال من عالم يسيطر فيه المقدس إلى عالم يسيطر فيه الإنسان وفيها لم يوجد مثال أعلى خارج المجتمع، أو خارج الإنسان، والمقدس الذي تسعى الأنسنة إلى إحداث القطيعة معه وفك الارتباط به قد يكون مقدسًا دينيًا، وقد يكون مقدسًا سياسًا، وقد يكون

(١) نزعة الأنسنة فى الفكر العربى / محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٦٠٨ ط دار الساقي بيروت.

مقدسًا تاريخيًا).[1]

وهو ما يعني أن أنسنة النص هي التعاطي معه كنص تاريخي، أي كنص متجسد في لغة بشرية، ويعكس التطورات، والمفاهيم التي تتضمنتها تلك اللغة، وأنسنة العقل هي إعطاء الدور الأساسي في المعرفة للعقل على حساب الوحي، أما أنسنة السياسي ، أي رد الفاعلية إلى الإنسان فهو الذي يحكم وينظم شؤون الدولة، أما أنسنة التاريخ فهي رفض أي تصور مسبق لسير التاريخ؛ لأن هذا الأخير من صنع الإنسان وحده.

ولذلك نرى أركون في خبث ودهاء يحاول أن يفرق بين نوعين من كلام الله تعالى وهما الكلام المطلق، والكلام النسبي، ويبدو أنه تأثر بالمعتزلة في هذا مع وجود فارق بين كلامه، ورأى المعتزلة فيقول:

الكلام المطلق: (هو كلام الله في كليته ونهائيته ويتجلى هذا المعنى في قول أركون " فكلام الله لا ينفذ، ولا يمكن استنفاذه، ونحن لا نعرفه بكليته، وأنواع الوحي التي أوحيت بالتتالي إلى موسى وأنبياء التوارة، ثم إلى عيسى وأخيرًا إلى محمد ليست إلا أجزاء متقطعة من كلامه الكلي، ونظرية " الكتاب السماوي" التي نجهلها ليست إلا رمزًا للقول بأن هناك كتابًا آخر يحتوي على كليانية الله " أم الكتاب".[2]

الكلام النسبي : " عندما تجد كلام الله في لغة بشرية هي اللغة العربية في القرن السابع الميلادي، أصبح كتابًا متجليًا في التاريخ الأرضي للمخلوقات: إنه

---

(١) الأنسنة والتأويل فى فكر محمد أركون د/ كيحل مصطفى ص ١٥٥.

(٢) العلمنة والدين /محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٨٢ ط دار الساقي بيروت ط الثالثة ١٩٩٦.

الكلام المنسوخ باليد على الورق، والمجموع في كتاب مجلد يدعى " المصحف" –يقول أركون– " قلت المصحف ولم أقل القرآن؛ لأنه يدل على الشيء المادي الذي نمسكه بين أيدينا يوميًا، فهو كتاب مؤلف من صفحات سجل فيها الخطاب القرآني بالخط المعروف، وقد كرست هذه النصوص طبقًا لمجريات مبلورة، ومضبوطة من قبل السلطات العقائدية، ثم رسخت على هيئة مدونات رسمية مغلقة). (١)

ويدعو أركون إلى ضرورة توظيف علم الألسنيات، أو علم اللغة لأن الخطاب القرآني (لم يكن مكتوبًا في البداية، وإنما كان كلامًا شفهيًا أو عبارات لغوية شفهية، ينبثق على هوى المناسبات، والظروف المتغيرة، وقد استمر ذلك عشرين عامًا). (٢)

والمفهوم من كلام أركون أن الخطاب الشفهي " القرآن " مختلف عن الخطاب الكتابي " المصحف" وهذا بسبب تأثره بما جاء في الألسنيات الحديثة والأنثربولوجيا من مفاهيم أكدت أن عملية النقل، والتكرار للكلام يؤدي إلى التحريف، والتحوير للحقيقة، وللواقع أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية، وبالتالي يجب إخضاع القرآن للنقد التاريخي، والتحليل الألسني التفكيكي، والدليل على ذلك قوله (وفي أثناء عملية الانتقال من التراث الشفهي إلى التراث الكتابى، تضييع أشياء، أو تحور أشياء، أو تضاف بعض

(١) الفكر الإسلامي من نقد وإجتهاد ترجمة هاشم صالح ص ٥٠، ٧٧، بتصرف واختصار ط المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٩٣.
(٢) العلمنة والدين /محمد أركون ص ٨٣ بتصرف يسير.

الأشياء، ولأن كل ذلك يعتمد على الذاكرة البشرية). [1]

فالخطاب القرآني الصادر عن الله تعالى قد ضاع بعد وفاة النبي -ﷺ- أما تبليغ النبي – ﷺ- للوحي إلى الصحابة رضوان الله عليهم وما جاء بعد ذلك من تلاوة للقرآن أو استشهاد بآياته فإن:

(هذين النمطين من الاستخدام الشفهي، يختلفان لغويًا عن المرة الشفهية الأولى، حيث نطق محمد بن عبد الله بالآيات القرآنية أو بالمقاطع والسور على هيئة سلسلة متتابعة أو وحدات متمايزة ومنفصلة على مدار عشرين عامًا). [2]

ويعلم أركون أن هناك اختلافًا كبيرًا بين الأديان الثلاثة السماوية، وإن كان مصدرها واحد، لكنه يعمم أحكامه هذه على كل الخطابات الدينية، ويعتبرها رسالات شفهية تولّى الأنبياء والرسل مهمة تبليغها إلى غيرهم، فحفظوها ثم دونوها بعد ذلك بناءً على الذاكرة الشفهية للصحابة أو للحواريين.

ورغم تميز القرآن عن التوراة والإنجيل بحفظ الله تعالى له – إلا أن أركون يسوي بين المحفوظ والمحرف، ويطلق أحكامًا عامة فيما يخص الكل، هذا بالإضافة إلى توظيفه مصطلح "الخطاب النبوي " مكان مصطلح الخطاب الإلهي، ويقصد بالخطاب النبوي :

(ذلك الخطاب الذي يقيم فضاء من التواصل بين ثلاثة أشخاص قواعدية: أي ضمير المتكلم الذي ألف الخطاب في الكتاب السماوي، ثم الناقل بكل إخلاص وأمانة لهذا الخطاب و الذي يتلفظ به لأول مرة " النبي " ثم ضمير المخاطب

---

(١) قضايا فى نقد العقل الديني د/محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٢٣٢ ط دار الطليعة بيروت ط الثالثة ٢٠٠٤.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني / محمد أركون ص ٣٨ ترجمة هاشم صالح ط دار الطليعة بيروت ط الثانية ٢٠٠٤م.

الثاني الذي يتوجه إليه الخطاب " الناس" والمقصود بالناس هنا الجماعة الأولى التي كانت تحيط النبي والتي سمعت القرآن من فمه لأول مرة). [١]

كذلك يضع أركون مقابلة بين القرآن والنبي عيسى –عليه السلام– فيقول (فالذي يقابل المسيح لدى المسلمين ليس هو النبي محمد على عكس ما يتوهم وإنما هو القرآن لماذا؟ لأن المسيح لدى المسيحيين أكثر من نبي، على عكس محمد الذي هو نبي فقط بل وبشر، أما يسوع المسيح فقد تجسدت فيه كلمة الله أو الأب، أو الروح القدس، وبالتالي فله طبيعة فوق بشرية أي إلهية تمامًا كالقرآن، هكذا نجد أن الله لدى المسحيين في شخص بشري هو عيسى بن مريم، وتجسد لدى المسلمين في نص لغوي هو القرآن). [٢]

ولهذا وجب على المسلمين أن ينزعوا عن القرآن هالة التقديسه، كما نزعت من النص التوارتي والإنجيلي من قبل ويثبتوا له الطبيعة البشرية.

ومن بين الأسماء التي أطلقها أركون على المصحف " المدونة الرسمية المغلقة" أي الحصول على نص مكتوب بعد الخطاب الشفهي، ولماذا هي رسمية ؟ وما معنى مغلقة؟

المدونة النصية : (في علم الألسنيات : مجموعة من العبارات الشفهية اللغوية التي جمعت لتشكل وحدة ما " مصحف في حالة الإسلام" وهذه الوحدة المتجمعة ترغب في أن تشمل كل العبارات النصية التي تلفظ بها المعلم أو " النبي"). [٣]

الرسمية: (هي رسمية في حالة الإسلام كما في حالة المسيحية واليهودية نعني

---

(١) الفكر الأصولى وإستحالة التأصيل ص ٣٠ د/ أركون.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ٢٣.

(٣) العلمنة والدين محمد أركون ص ٨٥.

أنها واقعة تحت سيطرة السلطة، أي سلطة الخليفة في حالة الإسلام، ويقول لنا التراث الإسلامي بأن الخليفة الثالث عثمان قد أمر بجمع مجمل العبارات الشفهية " أو الآيات " المحفوظة في ذاكرة الصحابة من أجل تدوينها كتابة). (1)
ويقصد أركون بالسلطة الرسمية ولي الأمر، والفقهاء، الذين يعتقدون بإمكانية تقديم القراءة الصحيحة، والمطابقة لكلام الله، وفي ذلك إيحاء بأن المصحف يمثل طرق الهيئة الرسمية فحسب، كما أن تدوين القرآن بدأ في حياة النبي – ﷺ–، وجمعه في المصحف في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وجمع الناس على القراءة في خلافة عثمان بن عفان.
المغلقة : (تعني بالمغلقة هنا، أو بالسياج المغلق، أنه بعد أن تنتهي عملية الجمع المعتبرة بأنها شاملة وكلية، فإنهم يعلنون بأن المدونة النصية قد أصبحت مغلقة بمعنى آخر لم يعد يحق لأي شخص في العالم أن يضيف لها أي شيء آخر أو يجترىء منها أي شيء). (2)
ويهدف أركون إلى فكرة يريد توصيلها للناس أن هذه المدونة تراجع من طرف العلماء، والمكلفون بالإفتاء فقط، ولا تخضع للبحث النقدي كما تعتبر الأحكام الشرعية التي يستنبطها الفقهاء صالحة لكل زمان ومكان، إلا أن الزمن يتغير ويتحول ومن ثم تتغير الأحكام والقوانين.
ثم ينتقل أركون إلى وصف القرآن بوصف آخر يخرجه من قدسيته، وهو مصطلح الظاهرة القرآنية فماذا يقصد بهذا المصطلح ؟

---

(1) روح الحداثة / طه عبد الرحمن ص ١٨٠ ط المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء ط أولى ٢٠٠٦م.
(2) العلمنة والدين / محمد أركون ص ٨٥

الظاهرة القرآنية : (أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد مايلي : التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تمامًا، الزمان هو بدايات التبشير والبيئة الثقافية الاجتماعية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية.) (١)

ويهدف أركون من هذا التعريف إلى جعل الظاهرة القرآنية، ظاهرة تاريخية تدرس بنفس الطريقة التي تدرس بها النصوص التاريخية والتلفظ بكلمة قرآن يحيلنا إلى مصدره الرباني المحمل بالمعاني اللاهوتية وفي هذا إبعاد عن الدراسة العلمية الموضوعية؛ لأن الهدف هو الدراسة النقدية للتراث الإسلامي، وإعادة فهمه، وتشكيله بما يتوافق مع تطورات العصر العلمية والمنهجية، وهذا يندرج في إطار ما يعرف بالتاريخية وهي تنص على أن :

(البعد الاجتماعي للظواهر في حالة تغير مستمر داخل الزمن وبالتالي فلا يمكن فصله عن التاريخية بصفتها صيرورة لكلية العالم (أي التاريخية = الزمنية = الصيرورة، التي تصيب كل أشياء العالم ومؤسساته، وعقائده، وأخلاقه على الرغم من أن المؤمنين يظنونها ثابتة). (٢)

ويرى أركون : (أن الخطاب القرآني عندما يتعرض لذكرى واقعة أو حادثة، فإنه يطمس معالمها، وإحداثياتها الزمكانية، لكي يخلع عليها صفة التعالي، والتسامي، فتصبح وكأن لا علاقة لها بأي زمان أو مكان محدد، فتصبح شيئًا رمزيًا يتجاوز

---

(١) قضايا فى نقد العقل الديني /محمد أركون ص ١٨٦ بتصرف يسير.

(٢) الإسلام الأخلاق والسياسة د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ٤٢ ط مركز الإنماء القومي بيروت ط أولى ١٩٩٠، اليونسكو باريس.

التاريخ ويعلو عليه) [١].

والغرض من هذا الكلام (هو نزع صبغة الوحي والقداسة على النسخ الديني ، وهذا مايستدعي الاعتماد على الأنثربولوجيا كفضاء معرفي يستعان به في بيان علاقة النص بالثقافة ويوظف آلياتها لمعرفة طبيعة علاقة النص باللغة، فيدرس النص المقدس كأي نص بشري). [٢]

إذن نستنتج من كل ماسبق : أن الأنسنة بالمفهوم الغربي تستهدف رفع عائق القدسية، والاعتقاد بأن القرآن ليس كلامًا مقدسًا، ولهذا يجب نقل القرآن من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري لأنها تقبل تأويلات غير متناهية، وليس بإمكان أحد امتلاك الحقيقة، والمداول الأصلي، ولا يتم ذلك إلا من خلال عمليات منهجية خاصة " التأويل والتفكيك، والنقد السيميائي والتحليل الأنثربولوجي، والحفر الأركيولوجي... إلخ.

هذا هو أركون، وذلك مشروعه الحداثي الذي يريد فيه القضاء على القرآن الكريم باسم العلم، والتطور، وقراءة التاريخ، والنقد وغيره من المصطلحات، ولقد كان أركون يعلم بأن منهجه هذا سيقابل بالرفض من المسلمين، فيقول: (أقول ذلك لكيلا يسارع القراء المؤمنون إلى رفض القراءات التي اقترحها للقرآن، لأنها خارجة عن إطار ما سميته بالتفسير الموروث، وهناك من يكفر هذه القراءات بناءً لا على ما فهمه واجتهد من إدراك مقاصد المؤلف، ولكن على أساس ما

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ص ١١٧ ط المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء ط الثانية ١٩٩٢.

(٢) إشكالية تاريخية النص الديني فى الخطاب الحداثى العربى المعاصر / مرزوق العمري ص ٢٢،٢٣ .

غاب عن فكره ومعلوماته، إذا كان لم يكتشف بعد تعاليم اللسانيات..).[1]

إن من يطالع كتب أركون يرى ما تنصح به من كفريات، وحقد دفين تعلمه على يد أساتذته من المستشرقين الذين هاجموا القرآن قبله، حتى طالت هذه العدوى أركون و الذي يسأل لماذا يبتدأ المسلمون قراءة القرآن بقال تعالى ويختمون بصدق الله العظيم، و الذي ذكر اسم النبي آلاف المرات ولم يصل عليه مرة.

#!#

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د/محمد أركون ص ٥ : ٧ بتصرف واختصار.

المبحث الثالث
الوحي في الإسلام

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: **تعريف الوحي وأنواعه .**
- المطلب الثاني: **إمكان الوحي ووقوعه.**

المطلب الأول
تعريف الوحي وأنواعه

الوحي في اللغة : **جاءت كلمة "الوحي" مصدرًا للفعل "وحي"، فيقال : وحي يحى وحيًا من باب وهن ووعد.**

كما جاء أيضًا مصدرًا للفعل الرباعي " أوحى" فيقال : أوحى، يوحي : إيحاء.

وقد ذكر اللغويون لكلمة الوحي معاني متعددة :

منها: (الإشارة) والكتابة، والمكتوب، الرسالة، الإلهام، والكلام الخفي). [١]

ومنها :- (الأمر، والإيماء، والرؤيا الصادقة، والتصويت يكون شيئًا بعد شيء ومنها : أن الوحي (أصله التفهيم، وكل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة، أو إشارة فهو وحي). [٢]

تلك هي مدلولات كلمة الوحي في اللغة، إلا أنهم قالوا إن :

(الوحي قصر على الإلهام، وغلب استعماله فيما يلقى من عند الله تعالى إلى أنبيائه ورسله). [٣]

وعرفه الإمام محمد عبده : بأنه (إعلام في خفاء).[٤]

وذكر صاحب تفسير المنار[٥]:

(يقال أوحى إليه، وأوحى إليه، بمعنى ووحيت إليه، وأوحيت، إذا كلمته بما

---

(١) القاموس المحيط /الفيروزبادي جـ٤ ص ٣٩٩.

(٢) المرجع السابق جـ٤ ص ٣٩٩.

(٣) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص ١٢٥ ط دار المنار ط العاشرة ١٣٦١.

(٤) المرجع السابق ذات الصفحة.

(٥) الوحي المحمدي للسيد: محمد رشيد رضا، ص ٢٩، ط. المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ٢٠٠٤م.

تخفيه عن غيره، وأوحى الله إلى أنبيائه " وأوحى ربك إلى النحل".[١]

(وقال الراغب : أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل " أمر وحى"، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريف، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، والإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلك، قوله – تعالى-: □ □ □ □ □ □ □ □ [٢] أشار إليهم ولم يتكلم). [٣]

الوحي في الاصطلاح:

أما الوحي في الاصطلاح: فيطلق ويراد به المعنى المصدري الذي هو الإيحاء، فهو فعل بمعنى الإعلام والإلقاء، ويعرف من هذه الجهة بأنه : (إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، فالحكم الشرعي كوجوب الصلاة، والصيام، وحرمة الزنا، والسرقة، وغير الحكم الشرعي، كالقصص القرآني، وأحوال الآخرة من بعث وجزاء، وغير ذلك من مسائل العقيدة والأخلاق). [٤]

وقد ورد هذا المعنى المصدري في كثير من آيات القرآن الكريم كقوله – تعالى- : ٱنم نى □ □ □ □ □ . [٥]

وكقول الله – تعالى-: ٱ بمـ به تج تح تخ تم ته . [٦]

وكقوله- تعالى- : ٱ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ .

(١) سورة النحل آية ٦٨.

(٢) سورة مريم آية ١١

(٣) الوحي المحمدي ص ٢٩.

(٤) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ١٢٥، ١٢٦ فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص ١٠٧ المجموعة من المؤلفين.

(٥) سورة الأنعام آية ١٩

(٦) سورة الزمر آية ٦٥

(١)

وكقول الله– تعالى– : ٱ بن بى بي تر ٍ . (٢)

ويطلق الوحي أيضًا ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر ويعرف من هذه الجهة بأنه (عرفان يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة، أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه – كصلصة الجرس، أو كلام الملك – بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام، بإن الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين تأتي، وهو أشبه بوجدان الجوع، والعطش والحزن والسرور) . (٣)

وهذا التعريف : يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله– تعالى– : ٱ لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هم يجيح يخ يم ٍّ. (٤)

وقيل في تعريفه: (أنه إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر). (٥)

(فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب، وقد يعبر عنه بالنفث في الروح، وهو بالضم القلب والخلد والخاطر – والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام الله من حيث لايراه كما سمع موسى –عليه السلام– من وراء الشجرة، وأما الثالث : فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير

---

(١) سورة الأعراف آية ١١٧

(٢) سورة النجم آية ١٠

(٣) رسالة التوحيد ص ١٢٥ : ١٢٦

(٤) سورة الشورى آية ٥١

(٥) مناهل العرفان جـ١ ص ٦٣

متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه.

والوحي بهذا المعنى يشمل من أنزل الله عليهم كتبًا من الأنبياء والمرسلين السابقين كسيدنا محمد – ﷺ– الذي نزل عليه القرآن الكريم وكسيدنا موسى – عليه السلام– الذي نزل عليه التوراة وكسيدنا عيسى – عليه السلام– الذي نزل عليه الإنجيل وغيرهم ممن نزل عليهم كتب). [1]

ومما تجدر الإشارة إليه : أن مانزل على رسول الله –ﷺ– كما يشمل القرآن الكريم، فإنه أيضًا يشمل السنة النبوية؛ لأن الله تعالى يقول في حق ما يقوله لرسول الله –ﷺ– : ﱡﭐ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱠ. [2]

ويقول –سبحانه–: ﱡﭐ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢﱠ. [3]

فالسنة النبوية أيضًا وحى الله إلى رسوله – ﷺ– لكنها بالمعنى دون اللفظ). [4]

أنواع الوحي في الإسلام:

جاء الوحي على معان كثيرة منها:

١–النوع الأول : **التكليم وحيًا : وهو المشار إليه في قوله تعالى** ﱡﭐ ﲜ ﲝ ﱠ ،

ومعناه : الإلهام، أو القذف في القلب يقظة أو منامًا بأن يلقي الله أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد مع تيقنه بأن ما ألقى إليه من قبل الله عز وجل، وهذا النوع من أنواع الوحي يشتمل على أمرين :

---

(١) الحجج البينات فى إثبات النبوات د/ محمد عبد الصبور هلال ص ٤٠ الوحي المحمدي للشيخ / محمد رشيد رضا ص ٣٠ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المدخل لدراسة القرآن الكريم د/محمد محمد أبو شهبة ص ٨٤ ط ٢ ط المطبعة الحديثة.

(٢) سورة النجم الآيتان ٣، ٤

(٣) سورة الحشر آية ٧

(٤) الحجج البينات فى إثبات النبوات د/محمد عبد الصبور ص ٤١

أ-الرؤيا الصادقة في النوم :

مما هو معلوم وثابت أن رؤيا الأنبياء حق وصدق؛ لأن قلوب الأنبياء لا تنام وإن نامت الأعين، ويجيء المنام في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه، وذلك كرؤيا إبراهيم -عليه السلام- أنه يذبح ولده إسماعيل -عليه السلام-، وكرؤية النبي - ﷺ- أنه يدخل المسجد الحرام.

ب- الإلهام والقذف في القلب في حال اليقظة:

وهو إلهام يقذفه الله في قلب من اصطفاه على الوجه الضروري الذي لايستطيع له دفعًا، ولا يجد فيه شكًا بأن هذا وحي من الله تعالى، وذلك مثل ماورد من حديث: " إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها ".(١)

ومثاله أيضًا : إيحاء الزبور إلى داود -عليه السلام- فلقد روي عن مجاهد - رضى الله عنه- أنه قال : " أوحى الله تعالى الزبور إلى داود -عليه السلام- في صدره".(٢)

النوع الثاني : تكليم الله نبيه من وراء حجاب:

وهو أن يخاطب الله نبيه فيسمعه كلامه المباشر بلا واسطة مبلغ، ولايدرك

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١٠ ص ٣٦، حديث رقم ١٤٩٢٤، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، شرح السنة ، كتاب الرقاق، باب التوكل على الله - عز وجل- ، حديث رقم ٤٠٢٨.

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د/محمد محمد أبو شهبة ص ٢٧٥ ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٠ وانظر الحجج البينات د/محمد عبد الصبور ص ٤٤.

المتكلم، وهذه الصورة من الوحي حدثت لموسى عليه السلام، قال – تعالى-: ٱ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ[1]، وكما كلم الله تعالى رسوله – ﷺ- ليلة الإسراء والمعراج).[2]

النوع الثالث : **التكليم بواسطة الملك : وهو المشار إليه بقوله –تعالى- ﭐ ﯿ ﰀ ﰁ أي من الملائكة، فيبلغ هذا الملك وحى الله إلى الرسول البشري، وهو ما يعرف بالوحي الجلي.**

ولقد كان جبريل –عليه السلام- موكلًا بالرسول – ﷺ- وكان يتشكل في صور منها :

أ- أن يأتي إلى النبي – ﷺ- في صورته الملائكية العظيمة التي خلقه عليها.

ب- أن يتمثل جبريل –عليه السلام- في صورة رجل يكلمه، فيعي الرسول – ﷺ- ما يقول، أو يتمثل فى صورة أعرابي، كما في حديث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه- وقد يأتي في صورة – دحية الكلبى.

أو يأتي الملك بصوت مثل صلصلة الجرس، وفي هذه الحالة لا يرى الرسول- ﷺ- الملك لا فى صورته الملكية، ولا في صورته البشرية، وإنما يتصل به دون تمثل فيسمع النبي كلامه بصوت كصوت صلصلة الجرس، ويعى النبي أن ما

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٢) القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين د/ محمد بحيري إبراهيم ص ٤٦، ٤٧ بتصرف ط دار الطباعة المحمدية ط٢ لسنة ١٩٨٤ القسم الأول.

ألقى إليه إنما هو من عند الله). [1]

نصيب القرآن الكريم من هذه الأنواع[2]:

اتفق جمهور العلماء على أن وحي القرآن الكريم من قبيل الوحي الجلي، وهو ماكان عن طريق إرسال أمين الوحي جبريل – عليه السلام– إلى محمد – صلى الله عليه وسلم– ليوحي إليه قرآنًا عربيًا في اليقظة لا في المنام، بالكلام لا بالإلهام، وهذا النوع هو أشهر أنواع الوحي وأكثرها وقوعًا، قال –تعالى–: ﱡ * نى ني ير * ين ﱠ. [3] [4]

إذن (ليس الوحي من خطرات النفس، ولا من نزغات الشيطان، وهذا العلم لايحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش والحب والبغض).

---

(١) انظر الحجج والبينات د/محمد عبد الصبور ص ٤٧، ٤٨ بتصرف واختصار شديد والقرآن المبين وكيف نزل به الرح الأمين ص ٤٧ : ٤٨ بتصرف واختصار.

(٢) القرآن المبين وكيف نزل به الرح الأمين د/ محمد بحيرى إبراهيم ص ٤٧

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٩٣– ١٩٥.

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم د/ محمد محمد أبو شهبة ص ٨٧.

المطلب الثاني
إمكان الوحي ووقوعه

تكمن أهمية هذا المبحث في الرد على أركون ومن نحا نحوه في إنكار الوحي وتعاظم وقوعه معتمدين على التجربة والواقع، والعلم الحديث الذي يدعونه علمًا بأني سأبين بأن وقوع الوحي ممكن، وليس أمرًا مستحيلًا كما يدعون: (والتصديق بمبدأ الوحي ليس مما يتعاظم على العقول إدراكه؛ لأن مبدأ الوحي ومدار إمكانه يتوقف على ثلاثة عوامل :

الأول: **وجود موح وهو الله سبحانه وتعالى، وقد قامت على وجوده وكماله الأدلة العقلية في الآفاق وفي الأنفس.**

الثاني: **وجود الملائكة المكرمين، وظهورهم لمن اختصه الله برسالته، والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال المختلفة، ولقد أخبرهم الأنبياء وأقرت بوجودهم الشرائع والكتب السماوية.**

وهذا الأمر مسلم به؛ لأن عوالم المخلوقات غير محصورة لنا، ولم يقم دليل ما على نفي سوى ما عليه الإنسان من تلك المخلوقات) [١].

ولقد أثبت العلم قديمًا وحديثًا :(أن من الموجودات ما هو ألطف من الملائكة، وإن غيب عنا، فأي مانع من أن يكون بعض هذه الموجودات اللطيفة مشرقًا لشيء من العلم الإلهي، وأن يكون للأنبياء اطلاع عليه، فإذا جاء النبي وأخبر الناس بأن الملك أوحى إليه من قبل الله، وأيده بالمعجزة وجب عليهم تصديقه، والإذعان لما جاء به)[٢].

---

(١) الحجج البينات د/محمد عبد الصبور ص ٥٠ .

(٢) توضيح العقيدة المفيدة للأستاذ / حسين عبد الرحيم مكي ص ٣٦.

الثالث: (وجود نفس بشرية صافية صالحة لتلقى الوحي من الله أو من الملك وهذا أمر ممكن؛ لأن الله القادر على كل شيء قادر على أن يصطفي من البشر أفرادًا يطهر نفوسهم، وقلوبهم، ويقوي أرواحهم، وعقولهم، ويعدهم إعدادًا فطريًا لتلقي وحيه، ثم يوحي إليهم)، وليس لنا في هذا الأمر أن نخضع الأمر إلى عالم المادة، ولا أن نقيس الغائب على الشاهد، وإلا ضللنا ضلالًا بعيدًا) (١).

ويصف الإمام محمد عبده المنكرين لوقوع الوحي بقوله: (أي استحالة في الوحي وأن ينكشف لفلان ما لا ينكشف لغيره، من غير فكر ولا ترتيب مقدمات، مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر، ومانح النظر، ومتى حفت العناية من ميزته هذه النعمة؟ مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة، يعلو بعضها بعضًا، وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى إلا على وجه من الإجمال وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط، بل لا بد من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان وكسبه، ولا شبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهى عند من هو أرقى منه، ولاتزال المراتب ترتقي في ذلك إلى ما لا يحصره العدو، وإن من أرباب الهمم، وكبار النفوس ما يرى البعيد عن صغارها، قريبًا فيعي إليه ثم يدركه، والناس دونه ينكرون بدايته، ويعجبون لنهايته، ثم يألفون ما صار إليه كأنه من المعروف الذي لا ينازع، والظاهر الذي يجاحد، فإذا أنكره منكر ثاروا عليه ثورتهم في باديء الأمر على من دعاهم إليه، ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهرًا في كل أمة إلى اليوم : فإذا سلم ولا محيص من التسليم ما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقول، والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها أن لا يسلم

---

(١) المرجع السابق

بأن من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهى من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان، ما لم يصل غيرها إلى تعقله، أو تحسسه لعصا الدليل والبرهان، وتتلقى عن العليم الحكيم، ما يعلو وضوحًا على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذة التعاليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ماعلمت، ودعوة الناس إلى ماحملت على إبلاغه إليهم، وأن يكون ذلك سنة الله في كل أمة، وفي كل زمان على حسب الحاجة يظهر برجته من يختص بعنايته، ليفي بالإجتماع بما يضطر إليه من مصلحته ظن إلا أن يبلغ النوع الإنساني أشده...) [1].

ثم يأتي الإمام / محمد عبده على الطرف الثاني وهم الملائكة فيقول : (أما وجود بعض الأرواح العالية – وهم الملائكة المكرمون – وظهورها لأهل المرتبة السامية، فمما لا استحالة فيه بعدما عرفنا من أنفسنا، وأرشدنا إليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة، وإن غيب عنا، فأي مانع يكون بعض هذا الوجود مشرقًا لشيء من العلم الإلهي وأن يكون لنفوس الأنبياء إشراف عليه، فإذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الإذعان بصحته.

أما تمثل الصوت، وأشباح لتلك الأرواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة، فقد عهد عند أعداء الأنبياء ما لم يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم، فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل إلى درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله أنه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع، ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع، فإن جاز التمثل في الصور

---

(١) رسالة التوحيد للإمام /محمد عبده ص ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨

المعقولة ولا منشأ لها إلا في النفس، وأن ذلك يكون عند عروض عارض على المخ، فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفوس العالية وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس، وتتصل بحظائر القدس.) (١)

ثم كيف يكون الوحي مستحيلًا والعلم في عصرنا الحاضر يؤيد إمكانه :

(فعلم التنويم المغناطيسى أثبت وجود قوة خفية وراء هذا الهيكل الإنساني وهي الروح، وبهذه القوة الخفية أو الروح يتسلط المنوم – بكسر الواو– على المنوم – بفتح الواو– ويلقى الأول إلى الثاني ما يشاء، ويستجيب الثاني إلى ما يريد الأول، وقد أجريت في هذا تجارب عدة حتى أصبح أمرًا مسلمًا به... ثم إن بعض المخترعات الحديثة كالاسلكي، والمذياع، والتليفزيون، ونحوها قد أمكن للإنسان بواسطتها أن يباغ كلامه إلى من هو أبعد منه بآلاف الأميال فإذا توصل الإنسان – على عجزه– إلى هذه المخترعات، أفنستبعد على خالق القوى والقدر، العليم الخبير أن يبلغ رسله ما يريد بواسطة أو بغير واسطة، وأن يهيء للموحى إليهم من الوسائل مايجعلهم مستعدين لتلقي الوحي) (٢).

يقول الشيخ الزرقاني: (اعلم أن أعداء الوحي ومنكريه لا يؤمنون بالشرع وأدلة الشرع، إنما يؤمنون بالعقل على الطريقة التي يستسيغونها، وبالعلم الذي تواضعوا عليه في اصطلاحهم الحديث، وهو جملة المعارف اليقينية التي أنتجها دستور البحث الجديد في الوجود وكائناته من جعل الشك أساسًا للبحث والاستناد إلى القاطع الذي يؤيده الحس دون سواه، فهم يقدمون الشك ويمعنون

(١) رسالة التوحيد للإمام / محمد عبده ص ١٢٩، ١٣٠

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم د/محمدمحمد أبو شهبة ص ٨٨، وأنظر النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ٩٣، وأنظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ /محمد عبد العظيم الزرقاني جـ١ ص ٦٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

فيه، ثم لا يعترفون إلا بالحسيات، ولا يحفلون بمجرد العقليات ومن هنا سجنوا أنفسهم في سجن المادة، ومكثوا حينًا من الدهر ينكرون ما وراء المادة، ويسرفون في الشكوك إلى أبعد الحدود، ويستخفون بأمر الإلهيات والنبوات والوحي إلى مدى بعيد، لم تصل إليه أظلم عهود الجاهلية لولا أن صدمهم العلم نفسه صدمة عنيفة غيرت رأيهم في إنكار ما وراء المادة...

وإنما نبدأ هنا بأدلة الوحي العلمية؛ لأنها في الواقع أدلة لإمكان الوحي وتقريبه إلى العقول.

وإمكان الوحي هو الخطوة الأولى في الموضوع، وهو ملحوظ في المقدمة الأساسية من مقدمات الدليل العقلي الآتي فلا غرو أن يكون لتلك الأدلة العلمية مكان الصدارة والتقديم.

الدليل الأول : التنويم الصناعي أو التنويم المغناطيسى :

وهو من المفرادات العلمية الثابتة كشفه الدكتور "مسمر" الألماني في القرن الثامن عشر، وجاهد هو وأتباعه مدى قرن كامل من الزمان في سبيل إثباته وحمل العلماء على الاعتراف به، وقد نجحوا في ذلك، فاعتراف العلماء به علميًا، بعد أن اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق، واطمأنوا إلى تجاربه وأخيرًا أثبتوا بوساطته ما يلى:

١- أن للإنسان عقلًا باطنًا أرقى من عقله المعتاد كثيرًا.

٢- أنه وهو في حال التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع، ويقرأ من وراء حجب، ويخبر عما سيحدث مما لا يوجد في عالم الحس أقل علامة لحدوثه

٣- أن للتنويم درجات بعضها فوق بعض يزداد العقل الباطن سموًا بتنقله فيها.

٤- أنه قد يصل إلى درجة تخرج فيها روح الوسيط من جسده، وتمثل إلى

جانبه غير مرئية، بينما يكون الجسم في حالة تشبه الموت لولا علاقة خفية بين الروح والجسم.

٥- أثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحًا.

٦- أن الروح مستقلة عن الجسم كل الإستقلال.

٧- أن الروح لا تنحل بانحلاله.

٨- أنها تتصل بالأرواح التي سبقتها إذا تجردت عن المادة، إلى غير ذلك مما لا نسلم جميع تفاصيله تقليدًا، وإن كنا نسلم هذا العلم وتجاربه) .[١]

بل وصل الأمر بالشيخ الزرقاني أن يشاهد تجربة للتنويم المغناطيسي ليكون الكلام عن تجربة بنادي جمعية الشبان المسلمين، ثم ذكر الشيخ – رحمه الله- هذه الجلسة وما حدث فيها بالتفصيل ثم قال معقبًا على تلك التجربة : (وبهذه التجربة أثبت الأستاذ : أن المنوم – بكسر الواو يستطيع أن يمحو من نفس وسيطه كل أثر يريد محوه، مهما كان ثابتًا في النفس كاسم الإنسان عينه، ومهما كان مقدسًا فيها كعقائد الدين) [٢]، وبهذه التجارب العلمية يتضح بما لا يدع مجالًا للشك إمكان الوحي؛ لأنه إذا كان لبعض البشر هذه القوة من التأثير فكيف بقوة الملك؟ يقول الزرقاني: (وبهذه التجربة ثبت لي أنا من طريق علمي ما قرب إلى الوحي عمليًا، وما جعلنى أعلله تعليلًا علميًا، فالوحي عن طريق الملك عبارة عن اتصال الملك بالرسول، اتصالًا يؤثر به الأول في الثاني ويتأثر فيه الثاني بالأول، وذلك باستعداد خاص في كليهما، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير؛ لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى ح١ ص٦٥، ٦٦

(٢) المرجع السابق ح١ ص ٦٧، ٦٨

روحانيته، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك وعند تسلط الملك على الرسول، ينسلخ الرسول عن حالته العادية، ويظهر أثر التغير عليه، ويستغرق في الأخذ، والتلقي عن الملك، وينطبع ما تلقاه ماثلًا في نفسه، حاضرًا في قلبه، كانما كتب في صحيفة فؤاده كتابًا.

أتظن أيها القارىء الكريم أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي، ثم لا يستطيع مالك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي، كلا ثم كلا إنه على ما يشاء قدير).[١]

هذا اكتشاف واحد من الاكتشافات العلمية المذهلة في عصرنا الحاضر يبين لنا قدرة مخلوق في التأثير في مخلوق آخر، هذا فضلاً إلى ما توصل إليه الإنسان من هذه المعلومات، والمكتشفات في هذا العصر من مخترعات حديثة في شتى نواحي الحياة، إذا كان الإنسان – المخلوق- وصل إلى هذا فما بالنا بالخالق سبحانه وتعالى ؟!!!

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز –رحمه الله- في الرد على الذين لا يؤمنون إلا بالمادة، وينكرون الروحانيات، وما وراء المادة ويشككون في الوحي واتصاله بالرسول : (وأما الجاهلون الذين أوتوا قليلًا من علم ظاهر الحياة، فظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء علمًا، فإنهم سيكذبون بكل ما لم يحيطوا بعلمه، وسيقولون لك لعله اضطراب في أعصاب البصر خيل إليه أنه يرى شيئًا من لا شيء، وأنت فاستعذ بالله من عمى القلوب والعيون وقل كلا ﴿ ... ﴾.[٢]

(١) مناهل العرفان ح١ ص ٦٨، ٦٩

(٢) سورة النجم آية ١٧

أو يقولون لعله اضطراب في قوى الفكر صور له المعاني أشياء ماثلة، وأحلام وحقائق مجسمة !! فأبرأ إلى الله من هذا الجنون، وقل كلاﱠ ﭐ □ ﱠ ﱡ ﱢ □ ﱣ [1] نعم لقد عجبوا أن يكون إنسان يرى الملائكة عيانًا، ويكلمهم جهارًا، بل عجبوا أن يكون في الدنيا خلق لا يرونه بأعينهم، وصوت لا يسمعونه بآذانهم، فقالوا كيف يرى محمد ما لا نرى، ويسمع ما لا نسمع).[2]

وقد ساق الدكتور / دراز – رحمه الله– دليلًا آخر غير التنويم المغناطيس فقال: (وقد ملئت الأرض بالآيات العلمية التي تفسر لعقولنا تلك الحقائق الغيبية وإن من أقرب هذه الآيات إلى متناول الجمهور أية " الهاتف" فقد أصبح الرجلان يكون أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب ثم يتخاطبان ويتراءيان من حيث لا يرى الجالسون في مجلس التخاطب شيئًا، ولا يسمعون إلا أزيزًا كدوي النحل الذي في صفة الوحي.

فإذا كانوا يريدون آية علمية أوضح من هذه تمثل لهم الوحي تمثيلًا وتريهم من طريق التجارب – التي لا يؤمنون إلا بها – أن اتصال النفس الإنسانية بقوة أعلى منها قد يحدث فيها ظاهرة من جنس هذه الظاهرة، وينقش فيها معلومات لم تكن مخزونة في العقل ولا الحس قبل ذلك فها قد أراهم الله تلك الآية العجيبة في أعجوبة التنويم المغناطيسى... فذلك مثل حامل الوحي ومتلقيه – عليهما السلام – هذا بشر مطواع ذو روح صاف يقبل انطباع العلوم فيه، وذاك ملك شديد القوى ذو مرة يحمل إليه رسالته، ويقرئه إياها فلا تنس إلا ما شاء الله بيد

---

(١) سورة النجم آية ١١

(٢) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ٩٣ تحقيق وتعليق عبد الحميد أحمد الدخاخنى ط أولى

أن بعدًا شاسعًا بين هذا الوحي النبوي ، ووحي الناس بعضهم البعض فالناس كما عرفت قد يوحون زخرف القول غرورًا، وكثيرًا ما يترك وحيهم في نفوس متلقيه أعراضًا عقلية، أو بدنية يصعب علاجها.

فأين هذا من الوحي بين رسولين مؤيدين اصطفاهما الله لرسالته : رسول من الملائكة، ورسول من الناس ؟ فأما الرسول الملائكي فإنه لا يزال من بعد كما كان من قبل ثابت الفؤاد، كامل العقل، قوى النفس والبدن " الله أعلم حيث يجعل رسالته[١]).[٢]

الدليل العلمي الثاني:

إن الإنسان وهو خلق من خلق الله تعالى استطاع أن يبتكر من المخترعات ما يقرب المسافات ويطويها كما في اختراع التليفون والتليفزيون، وغيرهما من الوسائل، وإذا كان الإنسان وهو مخلوق استطاع أن يفعل هذا أيعجز الخالق سبحانه أن يوحي إلى عبد من عباده كيف يشاء سبحانه يقول – صاحب مناهل العرفان : (إن العلم الحديثا أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده، وننتفع به مما يسمونه التليفون، واللاسلكي والميكروفون، والراديو، وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه، وأن يفهمه ما شاء، يرشده إلى ما أراد.

فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا) [٣].

(١) سورة الانعام آية ١٢٤

(٢) النبأ العظيم ص ٩٣ :٩٥ باختصار يسير

(٣) انظر مناهل العرفان ح١ ص ٩٦، ٧٠

الدليل الثالث:

استطاع العلم أيضًا أن يملأ بعض إسطوانات من الجماد الجامد الجاهل بأصوات، وأنغام، وبقرآن، وأغان، وكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان، وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه بالفونغراف، أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك، ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه، ويظهر به حقه على وجه يجعل ذلك الكلام منتقشًا في قلب رسوله حتى يحكمه بدقة وإتقان كذلك).(١)

الدليل الرابع :

إننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتي بعجائب الأنظمة والأعمال مما يخيل معه أن يكون صادرًا عن تفكير لها، أو غريزة ساذجة فيها ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر في ذلك إلا عن إرادة عليا توحي إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب من الصناعات والأعمال والدقة والإحتيال وإذا صح هذا في عالم الحيوان، فهو أولى أن يصبح في عالم الإنسان حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى، وأخذه عنه يكون أتم، ومن ذلك ما يكون بطريق الوحي.

وإن شئت أمثلة لتلك الحيوانات التي ضربناها لك مثلًا في إلهاماته العلوية فدونك النمل، والنحل، وما تأتيان من ضروب الأعمال، ودقة النظام).(٢)

إذا كان هذا شأن (الحشرات الصغيرة تأتي أعمالها بدقة ونظام، تراها تحفر بيوتها، وتدبر أمر حياتها يتساءل المرء من ذا الذي علم هذه الحشرات الضعيفة

---

(١) المرجع السابق ح١ ص ٧٠

(٢) نفس المرجع وذات الصفحة

السـاذجة تلـك الصـناعة المحيـرة للعقـل، مـن صـناعة بيـوت النمـل والنحـل، ومـن الذي أفهمها ؟ لا شك أن هناك قدرة فوق قدرة البشر، وهـي قدرة الخـالق العظيم الذي يعلم ما يصلح، وما يضر، علمها وأفهمها من غير طريق الحواس...

ومن العبث وضلال الرأى أن يثبت الباحث الطبيعي إلهامًا تبعثـه القدرة الإلـهيـة إلى أحقر الحشرات، ثم ينفيه عن النوع البشري، وهو أشد ما يكون حاجـة إلـى هذا الوحي، والإلهام في حياته الفردية والإجتماعية) .[١]

وهنـاك الكثيـر مـن الأدلـة علـى إمكـان الـوحي علميًـا ذكـرت طرفًـا منهـا وتركـت الكثير، وهـي فـي مجملها تثبـت بمـا لا يـدع مجـالًا للشك إمكـان وقـوع الـوحي – نسوقها – أي تلك الأدلـة – للذين لا يؤمنـون إلا بالمشـاهد المحسوس، والـذين يقيسون الشاهد على الغائب).

وإذا كان الإنسان – وهو المخلوق الضعيف – قد حقق كل هذه المخترعات فهل يشك بعد ذلك، أو يرتـاب إنسـان فـي قدرة الله تعـالى علـى إرسـال ملـك كـريم مـن عنده إلى رسله الكرام – عليهم الصلاة والسـلام– ليـوحي إلـيهم بمـا شـاء الله أن يوحي، سبحانه إنه على كل شيء قدير ألم يسأل هؤلاء المـأفوفون أنفسـهم عن الهاتف "الجوال" ألم يسأل هؤلاء أنفسـهم، عن الطـائرات بـدون طيـار، ألـم يسـأل هـؤلاء عـن الصـواريخ التـي لا تخطـيء أهـدافها، وغيـر ذلـك الكثيـر ممـا فعلـه الإنسان – وهو مخلوق ضعيف – أبعد ذلك يستبعدون على الخالق أن يفعل مـا يشـاء، أو يحكـم مـا يريـد، لـو نظـر إلـى النمـل والنحـل لعلمـوا أن وراءهم خـالق علمهم، فإذا كان هذا شأن الحشرات فما بال هؤلاء ينكرون قدرة الله حقًا فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

---

(١) مناهل العرفان ح١ ص ٧١ باختصار

إمكان الوحي عقلًا :

بعد أن ذكرت إمكان الوحي علميًا، وسقت الأدلة على ذلك بقي أن أتحدث عن إمكان الوحي عقلًا، يقول صاحب مناهل العرفان : (ونقيم لك الدليل العقلي هنا على أن هذا الأمر الممكن قد وضع فعلًا ذلك أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم محمد- ﷺ – وكل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت وذلك هو المطلوب.

أما الدليل على أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت فإن ذلك هو مقتضى الصدق والعصمة.

وأما الدليل على أن محمدًا – ﷺ – صادق معصوم فإنما هي المعجزة القائمة مقام قوله تعالى لعباده في شأن تصديق رسوله صدق عبدى في كل ما يبلغ عنى، ومن ذلك أنه يوحى إليه منى).[1]

ولعل الشيخ/ الزرقاني لم يشر إلى الأدلة من القرآن والسنة في الاستدلال على المقدمة الأولى، وذلك لوضوحها وكثرتها، وأنا أذكر طرفًا منها :

قال –تعالى –: ٱ ￼ ￼ ￼ ￼ * ￼ ￼ ￼ ￼ *￼ نى ني ￼ ير * ￼ ين ￼ ِّ [2]، وقوله – تعالى- : ٱ ￼ ￼ لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه ￼ هم ￼ يجيح يخ يم ￼ ِّ. [3]

أما من السنة فيذكر صاحب – النبأ العظيم – الظواهر المختلفة التي كانت تبدو على النبي – ﷺ – حين ينزل الوحي عليه فيقول :(ولكنا نعرف تلك الظاهرة العجيبة التي كانت تبدو على وجهه الكريم – ﷺ – في كل مرة حين ينزل

---

(١) مناهل العرفان ح١ ص ٧٣ بتصريف واختصار

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤

(٣) سورة الشورى آية ٥١

القرآن، وكان أمرها لا يخفى على أحد ممن ينظر إليه، فكانوا يرونه قد احمر وجهه فجأة، وأخذته البرحاء حتى يتفصد جبينه عرقًا، وثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس إلى جانبه، وحتى لو كان راكبًا لبركت به راحلته، وكانوا مع ذلك يسمعون عند وجهه أصواتًا مختلفة تشبه دوى النحل...ثم لا يلبث أن تسري عنه تلك الشدة، فإذا هو يتلو قرآنًا جديدًا).(١)

وهذه الأوصاف كلها ثابتة في الأحاديث الصحيحة، منها:

١- من حديث يعلى بن أمية، أنه كان يقول لعمر – رضى الله عنه – أراني النبي – ﷺ – حين يوحي إليه، قال : (فبينما النبي – ﷺ – بالحجرانة، ومعه نفر من أصحابه، جاءه رجل فقال يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة، وهو متضمخ بطيب، فسكت النبي – ﷺ – ساعة فجاءه الوحي، فأشار عمر – رضى الله عنه– إلى يعلى، فجاء يعلى، وعلى رسول الله ﷺ – ثوب قد أُظل به، فأدخل رأسه، فإذا رسول الله – ﷺ – محمر الوجه، وهو يغط، ثم سرى عنه) (٢)

٢- ومن حديث زيد بن ثابت : " أن رسول الله – ﷺ – أملى عليه، لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يملها علىَّ، قال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت –

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٧ :٨٩ بتصريف واختصار

(٢) الحديث متفق عليه، رواه البخارى في كتاب الحج باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ح٢ ص ٥٥٧ ط دار ابن كثير اليمامه بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م تحقيق د/ مصطفى ديب البغا وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه ح٤ ص٤ ط دار الجيل بيروت – دار الآفاق الجديدة – بيروت

وكان أعمى – فأنزل الله على رسول – ﷺ – وفخذه على فخذى، فثقلت على حتى خفت أن ترض – أي تكسر – فخذي ثم سرى عنه، فأنزل الله : ٱ □ □ □ □ ... ٍ(١)..." .(٢)

٣- من حديث عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – كان نبى الله – ﷺ إذا أنزل عليه" كرب لذلك وتربد له وجهه...". (٣)

٤- من حديث عائشة – رضي الله عنها–، قالت : ولقد رأيته – أي النبي – ﷺ – ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم (أي يقلع) عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا).(٤)

هذه بعض من الأدلة، على نزول الوحي على النبي – ﷺ – وما كان ينتابه حال نزول الوحي عليه سواء كان في سفر أو حضر وبذلك أكون قد أثبت إمكان وقوع الوحي علميًا وعقليًا، ولا مجال لمنقول أن يتكلم في إمكان الوحي، أو يرتاب في أمره.

يقول الدكتور / دراز – رحمه الله–:

(وإن نظرة واحدة نلقيها على عناصر هذه الظاهرة لتهدينا إلى أنها لا يمكن أن تكون صناعة أو تكلفًا، وبخاصة لو تأملت تلك الأصوات المختلطة التي كانت

---

(١) سورة النساء آية ٩٥

(٢) أخرجه البخارى في كتاب التفسير ح٤ ص ١٦٧٧

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحدود باب حد الزنا ح٥ ص ١١٥، وتربد أى تغير لون وجهه، والبرحاء شدة الكرب

(٤) متفق عليه رواه البخارى في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إى رسول الله – ﷺ – ح٤ ص٤ وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب طيب عرق النبى صلى الله عليه وسلم في البرد وحيث يأتيه الوحي ح٧ ص ٨٢

تسمع عند الوجه النبوي الشريف.

إذن هذا الأمر ليس اختياريًا، وليس تحضريًا، ولا مصنوعًا، ولا متكلفًا، وليس له منشأ في داخل النفس من الأسباب الطبيعية العادية، وليس كما يقولون إفكًا وزورًا من أنه اختلال في القوى العصبية، والدليل على ذلك ما ذكرته من الأدلة من السنة النبوية، التي توضح الحالة التي يكون عليها النبي – ﷺ – حيث ينزل عليه الوحي في كل مرة من مرات تنزله، فهي إذن حال غير اختيارية، وعارض غير عادي؛ لأن نزول الوحي كان يعتري النبي – ﷺ – قائمًا، أو قاعدًا أو سائرًا، أو راكبًا، بكرة وعشيًا، وفي أثناء حديثه مع أصحابه، أو أعدائه، وكانت تعروه فجأة، وتزول عنه فجأة، وتنقضي في لحظات يسيرة، لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان.

إذن هي قوة خارجية لأنها لا تتصل بهذه النفس المحمدية إلا حينًا بعد حين، وهي لا محالة قوة عالمة، لأنها توحي إليه علمًا.

وهى قوة أعلى من قوته : لأنها تحدث في نفسه، وفي بدنه تلك الآثار العظيمة ٱ □ □ يم ِّ. [1]

وهى قوة خير معصومة : لأنها لا توحي إلا بالحق، ولا تأمر إلا بالرشد، فلا جرم أنها لا تكون قوة طائشة شريرة كقوة الجن والشياطين، إذ ما للجن وعلم الغيب ولقد □ هم □ يج يح يخ يم □ □ □ □ □ □ ِّ [2] **وما للشياطين وخبر السماء وهي محفوظة من كل شيطان رجيم ٱ □ □ □ يم * □ □**

---

(١) سورة النجم آية ٥

(٢) سورة سبأ آية ١٤

□ □ ﱩ[1] أو ليس المرء يعرف بقرينه، وشبه الشيء ينجذب إليه ؟ فكيف تألف تلك الأرواح الخبيثة، وذلك القلب التقي الطهور ؟ أم كيف تتآلف تلك القوى الطائشة، وهذا العقل الكامل الرصين)؟؟؟[2].

#!#

(١) سورة الشعراء آية ٢١٠ – ٢١٢

(٢) انظر النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٩ :٩١ بتصرف واختصار شديد

المبحث الرابع
الوحي عند الفلاسفة المحدثين

تمهيد:

يعتبر موقف أركون في " أنسنة الوحي" ليس جديدًا على الساحة الفكرية، ولعل النشأة التي نشأ فيها محمد أركون قد أتت بظلالها على فكره، وتكوينه، وعقيدته، والأهم من ذلك كله انتماؤه، وولاؤه، لأساتذته ومربيه !!!.

وقضية " أنسنة الوحي" قضية تناولها كثير من مفكري الغرب فيما سمى " بعصر النهضة "أو " عصر التنوير".

ثم كان هناك عصر الاستلاب الحضاري، و الذي برزت فيه المادية الغربية بعد أن رفضت الدين جملة وتفصيلًا، وكان على أثر ذلك، التقدم الغربي المادي في شتى مجالات العلوم، بعد أن يتم تقويض سلطان الكنيسة، وتحرر الغرب من تحكمها، نظر كثير من أبناء الشرق إلى الغرب، وظنوا أن الدين هو ما يعوق أبناء الشرق عن اللحاق بالحضارة الغربية المادية، دونما تفريق بين المسيحية والإسلام، أو الوحي في المسيحية، والوحي في الإسلام.!!!

وكان من هؤلاء المنبهرين بالغرب أسماء كثيرة منهم طه حسين، سلامة موسى، محمد عابد الجابري، محمد أحمد خلف الله، نصر حامد أبو زيد، على حرب، وغيرهم الكثير من الأسماء.

وكان من هؤلاء " محمد أركون" والدعوة واحدة عند الجميع وإن اختلفت الوسائل، وتغيرت المفاهيم، والمصطلحات إلا أن هؤلاء جميعًا يلتقون في عدد من العناصر وهي :

١- التأكيد على رفع القداسة عن القرآن الكريم، فهو كتاب بشري، لا قدسية له، شكله الواقع، وهو تلفيق من الكتب السماوية السابقة، ومشابه لأى كتاب أدبي؛ ولذلك فلا بد من عرضه على العلوم الحديثة كما فعل الغرب المادي في

المسيحية!!!

٢-المعاني الموجودة في القرآن معاني تاريخية، وليس فيها معنى جوهريًا ولا ثابتًا.

٣-الفرق بين النبي والكاهن هو في قوة المخيلة وليس في الإعجاز، وعليه فالقرآن ليس معجزًا في شيء!!!

٤-العقيدة : مؤسسة على الأساطير الشائعة في وعي الناس !!!

٥-الشريعة صاغت نفسها مع حركة الواقع !!!

والمطلوب : تحويل الإلهيات إلى إنسانيات، وإلغاء الوحي وعقائد التوحيد، والبعث، والجزاء !!!

لذلك سأناقش هؤلاء، وغيرهم من فلاسفة الغرب الماديين بعرض الآتي:

المبحث الرابع
الوحي عند الفلاسفة المحدثين

قبل أن نعرض لموقف أركون من الوحي كان لا بد من عرض موقف الفلاسفة المحدثين لاسيما وأن محمد أركون استقى نظريته في الوحي من هؤلاء وأولئك، على منهج التأثر الذي عايشه منذ طفولته وحتى صار أستاذًا بالسوربون، فهذه المعايشة آثرت في فكره، وألقت بظلالها على آرائه ونظرياته، والتي كان المصدر الوحيد لها النصرانية من ناحية والفلاسفة المحدثين الذين تتلمذ على أيديهم من ناحية أخري.

ومعلوم أن الحال تغيرت في أوربا بعد عصر النهضة عنها في العصور السابقة " العصور الوسطى" في مختلف جوانبها العلمية والفكرية، ومن المتغيرات التي كان لها الأثر في التغيرات اللاحقة : أن سلطان الكنيسة كان فيما سبق مسيطرًا على الحياة، وخاصة جانبها الفكري ، حيث كان لا يتحرك إلا في إطاره، وتحت هيمنته، حيث كانت الكهنوت الكنسي مسيطرًا على كل مناحي الحياة، علميًا، وفكريًا، ودينيًا.

فى هذا الجو كانت مواقف الفلاسفة من الدين والوحي على ثلاثة اتجاهات أوجزها فيما يلى :

١- الاتجاه الأول: يرى أن ما جاء به الدين وحي إلهى، وهو لهذا يحمل صفة الصدق والكمال، وأن من الخطأ العزوف عنه، وطلب الحقيقة من مصدر سواه فيما جاء به ويمثل هذا الاتجاه : فليستي لامن "١٨٥٤" م الذي يقرر : أن الله أوحى بالدين الحق، ولم يترك الأمر للعقول الفردية، وأن الكنيسة صاحبة التعاليم السامية القديمة مكلفة من قبل الله بالمحافظة على الوحي، وينتقد الذين يفحصون الدين بعقولهم الفردية، ولا يؤمنون إلا بما قامت حجته العقلية لديهم،

فيقبلون أشياء، ويرفضون أخرى، وهم لهذا (آية في التناقض فهم يسلمون بالوحي ثم يدعون لأنفسهم الحق في رفض ما يرون رفضه من قضايا الوحي كأنما عني الله بإنزال وحيه ثم تركه عرضة للتغيير والتبديل).

ومن هؤلاء أيضًا: بلانش الذي يرى أن: (الكلمة الإلهية هي مصدر الحقيقة... والكنيسة هي حاملة الكلمة الإلهية).

كما يرى أن: (الوحي يعتبر أساسًا للجماعة ونظامها كما يعتبر للمعرفة والحقيقة معًا).[1]

وبما أن هؤلاء يعيشون في عصر النظريات العلمية القائمة على العقل، والتجربة والمستندة إلى الكشوف والحفريات، والدراسات الاجتماعية دون اعتبار لما هو مقرر في الكتب المقدسة لدى الكنيسة، لذا قام كثير من أصحاب هذا الاتجاه ببيان العلاقة بين هذه النظريات والعقائد الدينية حيث حاولوا :

(أن يعرضوا هذه النظريات العلمية التي لا يمكن التوفيق بينها، وبين العقائد الدينية في معرض الشك والإنكار).[2]

ومن أشهر من يتوافق منهجه مع هذا الموقف " رينيه ديكارت" وأصحاب هذا الموقف يمثلون في الغالب المحافظين من رجال الدين الذين عز عليهم انصراف الناس عن الكتب المقدسة وهو ما قال به ديكارت الذي يرى أن (مصدر الدين هو المدد الإلهي لا العقل البشري).[3]

علمًا بأن أصحاب هذا الاتجاه إنما يقصدون بالوحي كتب الكنيسة المقدسة دون

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث د/ محمد البهى ص ٣٢٥.

(٢) المدخل إلى الفلسفة ص ٢٨٥

(٣) قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١٧٩.

النظر إذا كانت هذه الكتب المقدسة عندهم تحمل وحيًا صحيحًا أم لا، لكن هؤلاء يعيشون في عصر آخر اتجهت فيه دراسات كثير من أصحاب المواقف الأخرى، إلى كشف حقيقة تلك الكتب سندًا أو متنًا مما كان له أثر في المواقف التي اتخذوها مناقضين لهذا الموقف.

الاتجاه الثاني : تبناه فلاسفة حاولوا الجمع بين الإيمان بالوحي مصدرًا للمعرفة ومن الالتزام بما في كتب الكنيسة المقدسة من نصوص لا يليق بعضها بالوحي وأشهر من يمثل هذا الاتجاه سبينوزا ١٦٧٧م ليبنتز ١٧١٦م، إيمانويل كانت ١٨٠٤ م، أقر هؤلاء بأن الله أوحى إلى عيسى بدين وعقيده، ولكن الكتب المقدسة تحمل زيادات من وضع البشر، فلا بد من استخلاص الموحى فقط وذلك بالاحتكام إلى العقل، ومن هذا جاءت فكرة الدين الطبيعي أو دين العقل الذي أساسه الإيمان الكامل بالوحي الإلهي الذي لا يتجاوز كونه فوق العقل البشري، منسجمًا معه، أي أن الذي يعتبر وحيًا هو ما لا يستطيع العقل، أن يجده مع نفسه، ولكن مع ذلك لا يمكن له أن يفهمه، في وفاق، وانسجام مع تفكيره الصحيح). (١)

وعليه فإن الدين الطبيعي يتكون من العقائد المسيحية التي تقبل التحليل العقلي وتتفق مع مباديء العقل، وإن كان كثير منهم انسياقًا مع عاطفتهم الدينية إلى تبرير جميع عقائد المسيحية. واعتبارها موافقة للعقل). (٢)

وجاء اتباع الفليسوف الإيطالي "سوسين" فأكدوا وجود الوحي الإلهي ولكن هذا الوحي لا بد أن يكون في طوق العقل أن يفهمه؛ لأنه أنزل لهداية الإنسان

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة د/يوسف كرم ص ١١٦، ١٤٠.

(٢) فلسفة الدين والتربية عند كانت د/ عبد الرحمن بدوى ص ١٣.

ومن ثم فما استعصى على الفهم فهو خارج عن دائرة الوحي، ولهذا أنكروا بعضًا من أصول عقيدة الكنيسة كالتثليث والتجسد وغيرها). [١]

الاتجاه الثالث : وهو الاتجاه الذي سار في فلكه أركون وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن مصدر الأديان والمعتقدات هو الإنسان، فهي بشرية ابتدعها الناس، دون أن تأتيهم من الخارج، ويرى بعضهم:

(أن مصدرها العقل المجرد، ومن ثم قرروا قضايا كلية، كوجود الخالق، وخلود النفس، ونحوها على أنها هي ما يقره العقل ونفوا ما سواها). [٢]

ويرى "هجل" أن مصدرها العاطفة فهو يقرر أن الدين فن باطني يصور لنا الحقيقة الإلهية من الداخل عن طريق الشعور الباطني ويقول : حقًا إن الدين هو الإبن الطبيعي للفن؛ لأنه يقوم مثله على الخيال والعاطفة). [٣]

ومن هؤلاء من يسمون بأنصار نزعة التنوير التي حمى وطيسها ضد الكنيسة في القرن الثامن عشر لدرجة سخرية أصحابها بالكتاب المقدس ونعتوه : (بأنه مجموعة من الكتب ألفها الناس امتلأوا بالأحكام السائدة في أيامهم، وتناولتها أيدي التعديل والتبديل... وفقًا لحاجات العصر، ودرجة الفهم).[٤]

وقد وصف بعض أصحاب الدين الطبيعي مثل بودان، وهربرت يوهان دينهم بأنه ما يقوم على الفطرة البشرية، والعقل الذي يستطيع التمييز بين الخير والشر وأن جميع المصلحين إنما استنطقوا فطرهم، واستوحوا عقولهم فيما سموه من أديان، وأن ما لا يصل إليه الإنسان بفطرته إنما هو ضلال أضيف إلى هذا

---

(١) المرجع السابق ص ١٧.

(٢) العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة ص ٢٨.

(٣) مشكلة الفلسفة ص ١٩٣.

(٤) إيمانويل كانت ص ٧٨.

الدين القائم على العقل الحر فقط، ويتضح إنكار هؤلاء للوحي الإلهي من قول أحد دعاة هذا الاتجاه:

(حينما ترك الناس الدين الطبيعي الذي أودع في طبائعهم مع العقل ضلوا، ويكفى الناس أن يحتكموا إلى القانون الطبيعي، والدين الطبيعي، ويمكن الاستغناء عن غيره من الأديان مثل اليهودية والنصرانية والإسلام).[١]

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان المعرفة دائرة بين الإنسان والطبيعة ولا شيء وراءهما الا الوهم والخيال، فالدين والوحي ونحوهما خداع للحقيقة وليسا منها في شيء وهو ما حدا بأوجست كونت أحد مشيدي الفلسفة الوضعية أن يقول: إن العلم الطبيعي المادي ينبغي أن يحل محل اللاهوت، وأن يضايقه، كما ضايقه اللاهوت من قبل، ويقصد العصور الوسطى.

ويمثل هذا الاتجاه أيضًا الفيلسوف الألماني : فيرباخ ١٨٧٢م و الذي قال بفكرة : التعويض حيث يرى أن الدين هو علم الإنسان، وهو محصول للعقل الإنساني، وليس موحًا به من خارج الإنسان، ولما كان علم الإنسان الحاضر هو العلم المادي فيكون هو الدين، والله هو الإنسان، إذا تخلى عن قيوده الفردية والشخصية، فالإلهية هي الإنسانية وعليه فيجب (أن نضع مكان ومحبة الله الإنسان كدين وحيد، وأن نضع مكان الإيمان بالله الإيمان بالإنسان نفسه، وبإمكانياته، وقدراته، والإيمان بإن تقرير المصير للإنسانية ليس من طبيعة خارجة عنها أو فوقها). [٢]

وعلى هذا الموقف أيضًا – الماركسيون والوجوديون، الذين ينكرون وجود الله،

---

(١) عصر الإلحاد د/ محمد تقى الأمينى ص ٦٤.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث د/البهي ص ٣٥٢.

ويعتبرونــه وهمًـا عـاش فتـرة فـي عقـول النـاس ثـم ذهـب إلـى غيـر رجعـة، فالماركسيون يقولون صراحة (إن فرضية وجود الله أصبحت عديمة الجدوى). (١)
أما بعض الوجوديين : فقد تزعموا سقوط فكرة " الله" حيث اعتبروا أن الله (كان يحدثنا ثم صمت فلم يعد في وسعنا الأن سوى أن نلمس منه جثة هامدة). (٢)
وإذا سقط القول بوجود الله : لـم يعد للبحث فـي وحـى ينـزل علـى الخلق مجـال، الاجتماعيون الملحدون يفسرون نشأة العقيدة لدى الإنسان، وصورها الأولـى، فيجعلونـهـا منبعثـة مـن نفسـه تحـت دوافـع طبيعيـة ونفسـية، وغيرهـا متشـكلة أوضاعها حسب مستوى ذكائه، وظروف حياته، فهي تعود إلـى الإنسان ولا أثـر لمصدر خارجي فيها البتة.
ولعل السؤال الذي نطرحه لماذا اتخذ الفلاسفة هذا الموقف النـافر من الوحي المهين لمقامه؟ لقد كان السبب الأول والأوحد هو : ما جاءت بـه الكنيسة من تعاليم أطلقت عليها وحيًا هذا من جهة، ومن الأخرى تسلط الكنيسة في العصور الوسطى أو مـا يسمى بـ " عصور الظلام" وهيمنتهـا علـى النـاس وحجرهـا علـى العقول في إطار تعاليمها، وتقريرها بأنـها السلطة المطلقـة التـي تملك الحقيقـة، واعتبارها أن مـا تـأتي بـه وحيًـا فهـي نائبـة عن المسيح تحـل وتحـرم، وتعطـي وتمنـع، وتكفر، وتفسق، وتدخل الملكوت، وتخرج منه، كما هو معروف عن تلك العصور كل هذا جعل الغرب الأوربي يخرج على هذا الدين والكنيسة رافضًا فكرة الوحي بل كافرًا بها، أضف إلى ذلك:
إن الأناجيل مشكوك في صحتها، ومجهول تاريخ كتابتها، ومختلف في بعض

---

(١) النظرية المادية فى المعرفة / روجيه جارودي ص ١١.
(٢) مشكلة الفلسفة ص ٢٠٠.

واضعيها، ومتناقضة في أصولها، دخلها التحريف بشهادة المنصفين من أتباعها، وكثرتها كثرة فاحشة حتى اجتمعوا على الأربع السالفة الذكر كذلك عدم موافقتها للعقل في أكثر نصوصها، إلى جانب دعوتها الى التبتل والرهبانية، والسلبية، وعدم إعمال العقل، ومعارضتها للعلم، وصكوك الغفران وعقائد الصلب والفدا، وجشع رجال الكنيسة وفسادهم، كل ذلك وغيره الكثير حدا بأوروبا أن تخرج على الكنيسة لتؤله الإنسان وترى أن الدين والوحي خيال ووهم ليس له حقيقة.

كذلك يعتبر تناقض الأناجيل معه العلم الحديث من الأسباب التي أدت إلى الثورة على الكنيسة، والوحي وهو ما حدا بالغرب أن يروا أن معطيات الوحي، ومعطيات العلم (شيئان متنافران، وإن أراد شخص الجمع بينهما ففي شخصية مزدوجة، وأن يضع وجهتي نظر كل منهما جنبًا الى جنب في ذهنه دون أن يختلط). [١]

هكذا كان فلاسفة أوربا ينظرون إلى الوحي، ويصدرون حكمهم عليه مما ترتب الشك في صحة الوحي المنسوب للمسيح، بل والشك في المسيح نفسه، واعتباره شخصية أسطورية لا حقيقة لوجودها كما فعل برتراند رسل، أو احتقار رسالته ومقامه – لمن يؤمنون به إيمانًا تقليديًا لدرجة الاستهتار كما فعل الفيلسوف البريطاني سى. أم. جود – الذي يرى (أن السيد المسيح لا يتصف في بعض الأحيان بالمعقولية، وأن المعلومات التي جاء بها في بعض الشؤن مشوشة غير ملائمة). [٢]

(١) العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة / أميل باترو ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى ص ٣٢.
(٢) مصرع الداروينية /محمد علي يوسف ص ١٦٠.

هذا موقفهم من الوحي في المسيحية، ولكن ما هو موقفهم من الوحي في غير المسيحية ؟

١-أنهم ينظرون إلى الأديان الأخرى من خلال نظرتهم إلى دين الكنيسة إن لم تكن أدنى من ذلك، يقول أميل باترو موضحًا الدين الذي يقصده بحديثه عن الدين بأنه : (الدين الذي اتفق عادة على أنه أسمى الأديان وهو المسيحية).[١]

ويوضح هذا الأمر أكثر ميلر بروز في موضوع " العلاقة بين الدين والعلم " يقيس فيه الاسلام بوحيه، وظروفه على المسيحية، ويرى أن المعضلات التي تتضمنها محاولة إيجاد ملاءمة بين الدين والعلم تتشابه في الإسلام والمسيحية، ويرى أن الوحي في الإسلام مثل وحى المسيحية :

(تقرره الآراء العامة السائدة عن العالم في الوقت والمكان الذي ينزل فيه). [٢]

أما 'كانت" يفرق في كتابه " الدين في حدود العقل " بين الدين الوضعي والدين العقلي (حيث يعتبر الثاني الدين القائم على الصدق الكلي الذي تتفق فيه جميع العقول، أما الأول : فهو الدين القائم على الوحي، وهذا الدين يتمثل في الديانات الكثيرة الموجودة في العالم كاليهودية، والمسيحية والإسلام، والبوذية... ويرى ضرورة تأويل وحي هذه الديانات لتتفق مع الدين العقلي ، ومع أنه يقر بوجود ما يشوبه كتب الكنيسة من فساد حيث تدخلت الدولة تدخلًا مضحكًا في اللوائح الدينية، وكان رجال الكنيسة مستبدين في عقائد الناس،ومحتكرين لأنفسهم حق تفسير الكتاب المقدس رغم أنف كل ما يقضي به العقل). [٣]

(١) العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة ١١٣.

(٢) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة جمع وتقديم / محمد خلف الله ص ٤٦، ٤٧.

(٣) فلسفة الدين والتربية عند كانت د/ عبد الرحمن بدوي ٨٦، ٨٧

وخلاصة القول : أن الغربيين يقيسون الأديان الأخرى على دين المسيحية والوحي على كتبها المقدسة، وبناءً عليه أدى إلى إنفلات كثير من فلاسفة القرن التاسع عشر وما بعده عن المسيحية والتحلل من تعاليمها إلى محاربة الأديان السماوية عمومًا، وإلى رفض الوحي أيًا كان. هذه واحدة، أما الثانية : فإن معرفة هؤلاء عن الوحي في الإسلام جاءت مستمدة من كتب المستشرقين فيما يتعلق بالوحي.

وقد انتهت أغلب الدراسات الاستشراقية عن الوحي في الإسلام إلى أن مصدره بشري لا إلهي، فالوحي عندهم إما من وضع الرسول – ﷺ– أو أنه غير ثابت صدوره حتى عن الرسول، إذ كان للصحابة ومن بعدهم جهد في تكوينه.

وهذا ما أردت توضيحه بعد كل هذا الإسهاب، وهو أن أركون تربى على هذا الفكر صغيرًا وكبيرًا مرددًا لأقوال أساتذته من الفلاسفة الماديين والوضعيين، والماركسيين، ونسى هو وأساتذته أن ما ينسحب على دين لايجري على الآخر، وأن الإسلام غير المسيحية، ولم يكلف أركون نفسه أن يبحث في الإسلام عبر التراث الإسلامي ، ولكنه اكتفى بآراء أساتذته من المستشرقين، ومن يدري لعله أراد أن يجاملهم على حساب دينه، وعقيدته وعروبته!!!!

#!#

المبحث الخامس
شبهات المستشرقين حول الوحي ودحضها

المبحث الخامس
شبهات حول الوحي ودحضها

تمهيد:

دأب خصوم الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية على محاولة النيل من الدين، والتشكيك فيه بكافة الوسائل، ومحاولة زعزعة العقيدة في نفوس أتباعها ومعتنقيها، وقد مرت هذه الوسائل التي اتبعها هؤلاء المغرضون بمراحل كثيرة، منها التشكيك في مصدر القرآن "الوحي " مرة، وأخرى في عملية جمع القرآن، وثالثة في أسلوبه، ورابعه في الحروف المتقطعة إلخ هذه الوسائل التي كانوا يتبعونها.

ومن المعلوم أنه وإن اختلفت الوسائل، فالغاية عند هؤلاء واولئك واحدة، وهي النيل من القرآن الكريم، ونفى القداسة عنه، ومحاولة بذر بذور التشكيك فيه، وهو المصدر الأول للتشريع وهي محاولات تصدى لها العلماء، وكشفوا زيفها، ودحضوا شبهاتها ولكن هؤلاء المغرضون لا يملون، ولا يفتأون عن المحاولات وهم في قرارة أنفسهم متأكدون أنهم سيفشلون في تلك المحاولات وإذا كان سلفهم، وأساتذتهم لم ينجحوا في هذا، فهم على الأقل يريدون صد المد الإسلامي حتى لا ينتشر أكثر فأكثر، وهم في ذلك واهمون، حالمون؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله تعالى، ﴿ ﴾[1].

ولقد حذا حذو الأولين فئة من أعداء الإسلام في العصر الحديث ومنهم – محمد أركون– الجزائري – المسلم– الذي تربى على موائد الغرب، وتعلم في مدارسهم وتغذى بلبانهم، وكان لا بد من رد الجميل لأساتذته من المستشرقين الغربيين،

(١) سورة آل عمران آية١٩

الذين تنكروا للأديان عامة، وللإسلام خاصة، فسار الرجل في فلكهم، وحذا حذوهم، وتقلد مذهبهم في الثورة على الأديان، وأنها السبب الرئيسى في التخلف، وإعاقة التقدم العلمي ، زاعمًا بأن المسلمين والعرب إن أرادوا، أن يلحقوا بركب الحضارة، فلا بد أن يسيروا سيرة الغرب الذي ثار على الدين، وحبه في جدران الكنائس.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل بلغ الإسفاف بهم وبه أن يتآمرون على نزع القداسة عن المصدر الرئيسى للتشريع وهو التشكيك في مصدره، وهل هو إلهي، أم بشري، ومن أجل أن يلبس على الناس، أوعز في أذهانهم أنه يستخدم منهجًا علميًا فجاء بنظريات علم الاجتماع، وعلم النفس، وهي نظريات في مضمونها تطبق على الإنسان، أو الجنس البشري، أو ما نسميه بعالم الشهادة، ولا تطبق على عالم الغيب، أو ما هو إلهى لايدرك بالحواس، فكانت هذه طريقته، التضليل باسم العلم، والخداع باسم النظريات العلمية الحديثة، وفي النهاية الهدف واحد سواء عند الأولين منهم، أو الآخرين.

وكان المفروض على أركون ومن سار على نهجه من علمانيّ المسلمين الذين يتحدثون باسم البحث العلمي ، ونظريات علم الإجتماع، أن يدرسوا الأديان دراسة محايدة، بعيدة عن التعصب، وأن يعلموا أن ما ينسحب على دين لا ينسحب على الآخر، فإذا كانت اليهودية والنصرانية قد دخلاها التحريف، والعبث بكتبها مما اصطدم بالعقل والعلم والواقع الإنساني، فإن الإسلام ليس كذلك، فهو محفوظ بحفظ الله تعالى له من ناحية، ومن الناحية أخرى : قيض الله تعالى له رجالًا عظماء حفظوا أمانة تبليغه دون تحريف أو زيادة أو نقصان، علمًا بأن الإسلام أو القرآن لا يتعارض مع العقل، أو العلم، أو النظريات الاجتماعية،

ونظريات علم النفس، ولكنه التعصب الأعمى، والبغيض الذي جعل هؤلاء غير محايدين، فعمموا الأحكام، وألهوا الإنسان، وسأعرض لبعض من هذه الشبه، ورد العلماء عليها فأقول :

الشبهة الأولى :

يقولون فيها (إن محمدًا – ﷺ – كان عصبيًا حاد المزاج، وكان مريضًا بما يسمونه "الهستريا"، فالوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحال التي أصيب بها) [١].

أجاب عن هذا الزعم، وتلك الشبهة صاحب مناهل العرفان، فيقول : (إن هذه فرية تدل على جهلهم الفاضح بمحمد – ﷺ – فالمعروف عنه بشهادة التاريخ الصحيح، والأدلة القاطعة، أنه كان وديعًا صبورًا حليمًا بل كان عظيم الصبر، واسع الحلم، فسيح الصدر، حتى إنه وسع الناس جميعًا ببسطه وخلقه، وكان شجاعًا مقدامًا سليم الجسم، صحيح البدن.... وكان يثبت في الميدان حين يفر الشجعان، يفزع الخلق، ويشتد الأمر، ويقول : "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب "، ويقول "إلىّ عباد الله" ولا يزال كذلك حتى ينفذ الموقف....

أما مرض "الهستريا" الذي يصمونه به – ﷺ – كذبًا فهو داء عصبى عضال، أكثر إصاباته في النساء، ومن أعراضه شذوذ في الخلق، وضيق في التنفس، واضطراب في الهضم، وقد يصل بصاحبه إلى شلل موضعي، ثم إلى تشنج، ثم إلى إغماء، ثم إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين، وقفز

---

(١) انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى ص ١٧٧، ١٧٨ وما بعدها، القرآن المبين د/محمد بحيرى ص ٥٨،٥٩، القرآن والمستشرقون د/محمد عزه دروزه ص ٣٤٠،٣٤١

من مكان إلى مكان، وقد يزعم المصاب أنه يرى أشباحًا تهذه، وأعداء تحاربه، أو أنه يسمع أصواتًا تخاطبه على حين أنه لا وجود لشيء من ذلك كله في الحس والواقع.

فهل يتفق ذلك وما هو معروف عن النبي – ﷺ – من أنه كان أمة وحده في أخلاقه وثباته، وحلمه، وعقله، ورباطة جأشه، وسلامة جسمه وقوة بنائه، ثم كيف يتفق هذا الداء العضال الذي أعيا الأطباء، وما انتدب له محمد – ﷺ– من تكوين أمة شموس أبية، وتربيتها على أسمى نواميس الهداية، ودساتير الاجتماع، وقوانين الأخلاق وقواعد النهضة والرقي؟!

أضف إلى ذلك أنه نجح في هذه المحاولة المعجزة إلى درجة جعلت تلك الأمة، بعد قرن واحد من الزمان، هي أمة الأمم، وصاحبة العلم وربة السيف والقلم.

فهل المريض المتهوس الذي لا يصلح لقيادة نفسه، يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش ؟!

الشبهة الثانية **: وفحواها : (أن محمدًا في حال وجوده في بلده "مكة" وأثناء أسفاره مع عمه أبي طالب خارجها، ومروره بأرض مدين، وحديثه مع أهلها، ومقابلاته مع اليهود والنصارى، وأحبارهم، ورهبانهم قد استفاد كثيرًا من المعلومات عن النبيين، والمرسلين مما يعتبر أصلًا لما جاء به القرآن) [(١)].**

وهذه الشبهة هي ومن سبقتها، يبدو فيها مكر اليهود والنصارى الذين يحاولون كعادتهم، إظهار أن هذا القرآن أتى به – ﷺ – متأثرًا بما سمعه من اليهود والنصارى، فهو كتاب ملفق اخترعه محمد – ﷺ– وليس وحيًا من عند الله تعالى،

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج١ ص ٨١، ٨٢ باختصار يسيروانظر الحجج البينات في إثبات النبوات د/محمد عبد الصبور هلال ص٥٩ :٦١

وهو قول السابقين من هؤلاء المغرضين، وبه قال المحدثين ومنهم محمد أركون وغيره.

الرد على الشبهة :

أولًا : (فيما يرددونه من استفادته – ﷺ – حال وجوده بمكة فهم يقصدون الإشارة إلى تردده – ﷺ – على ذلك "القين" الحداد الرومي الذي كان يصنع السيوف وغيرها، ووقوفه –عليه السلام – عنده أحيانًا ليشاهد صنعته، وعند ذلك اتهموه بأنه يتعلم منه.

والحقيقة : أن الله تعالى قد رد عليهم بما أفحمهم وأخرس ألسنتهم حينما بين الله تعالى ذلك بقوله:ٱ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم ني □ □ ِّ[1] [2] فكيف إذن يعلم الرومي ذو اللسان الأعجمى محمدًا – صلى الله عليه وسلم – هذا القرآن العربي المبين، الذى أعجز أرباب البلاغة، وأهل الفصاحة من العرب فضلًا عن الأعاجم من غير العرب) [3].

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز : (وما أدراك من هو ذلك البشر الذي قالوا إنه يعلمه... لقد وجدوا أنفسهم مضطرين أن يلتمسوا شخصًا يتحقق فيه شرطان:

أحدهما : **أن يكون من سكان مكة نفسها لتروج عندهم دعوى أنه يلاقيه ويملي**

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/محمد البهى ص ١٧٧، ١٧٨ ط مكتبة وهبة ط١٢ سنة ١٩٩١، وانظر القرآن المستشرقون د/ محمد عزه دروزه ص٣٤٠، ٣٤١ وانظر / حضارة العرب رجوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ١٤١ وما بعدها ط – بيروت ١٣٩٩هـ

(٢) سورة النحل ١٠٣.

(٣) القربن المبين وكيف نزل به الروح الأمين د/ محمد بحيرى إبراهيم ص ٥٨، ٥٩

عليه بكرة وأصيلًا.

ثانيهما : أن يكون من غير جلدتهم وملتهم، ليمكن أن يقال : إن عنده علم ما لم يعلموا، وقد التمسوا هذه الأوصاف فوجدوها، أتدري أين وجدوها ؟ في حداد رومي : نعم وجدوا في مكة حداد تعرفه الحوانيت والأسواق، ولا تعرفه تلك العلوم في قليل ولا كثير، غير أنه لم يكن أميًا، ولا وثنيًا مثلهم، بل كان نصرانيًا يقرأ ويكتب، فكان من أجل ذلك خليقًا في زعمهم أن يكون أستاذًا لمحمد، وبالتالي أستاذًا لعلماء اليهود والنصارى والعالم أجمعين، ولئن سألتهم هل كان هذا الغلام فارغًا لدراسة الكتب، وتمحيص أصيلها من دخيلها، ورد متشابهها إلى محكمها، وهل كان مزودًا في عقله ولسانه بوسائل الفهم والتفهيم، لعرفت أنه كان حدادًا منهمكًا في مطرقته وسندانه، وأنه كان عامى الفؤاد لا يعلم الكتاب إلا أمانى، أعجمى اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد، ولا أحد من قومه، لكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه وبين لقب الأستاذية الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين، وهكذا ضاقت بهم دائرة الجد، فما وسعهم إلا فضاء الهزل وهكذا أمعنوا في هزلهم، حتى خرجوا عن وقار العقل، فكان مثلهم كمثل من يقول : إن العلم يستقى من الجهل، وأن الإنسان يتعلم كلامه من الببغاء، وكفى بهذا هزيمة وفضيحة لقائله.. ز زبل ما منع ذلك الغلام أن يبدي للعالم صفحته فينال في التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة و العالمية) (١).

هذا فيما يتعلق بالجزء الأول من الشبهة، أما الجزء الثاني وهو ما زعموه من

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دارز ص ٨٠ : ٨٣ بتصريف واختصار وانظر الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية د/ سياسى سالم الحاج ح٢ ص ٣٥١ وما بعدها ط منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي ط أولى ١٩٩١

مروري بأرض مدين ولقائه مع أهلها فإنما هو : (كذب محض، وجهل فاضح بالتاريخ وبمواقع الأماكن التي يدعون مروره – عليه السلام – بها،ذلك أن القوافل التي كانت تذهب إلى الشام للتجارة لم تكن تمر بأرض مدين التي هي في صحراء سيناء، ولم تكن هذه القوافل لتضيع شيئًا من وقتها في البحث مع العرب أو الأعراب عن أنبائها، وعن التاريخ القديم لبلادها.

إن مثل هذه الأخبار هي محض اختلاف، وحتى على فرض صحتها فليس من المعقول أن يعتمد محمد – ﷺ – على ما سمعه في الطريق من أناس مجهولين لا يوثق بمعرفتهم ولا بصدقهم حتى يجعله أصلًا للوحي الذي جاءه في قصة موسى وقصة شعيب – عليهما السلام –)[1].

وللمرء أن يتساءل : كم مرة سافر النبي – ﷺ – إلى أرض مدين ومن التقى بأخبارها ورهبانها، لقد كانوا يسافرون قبله، فلماذا لم يأتوا بما أتى به – صلى الله عليه وسلم – ثم كيف ينسج النبي – عليه السلام– القرآن المعجز المتحدي بأقصر سورة منه، من الحكايات سمعها، اللهم إن هذا جهل ينم عن حقد دفين.

أما ما يتعلق بتفنيد الجزء الثالث من الشبهة من سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب فأقول أولًا : (إن الرسول – ﷺ– لم يذهب مع عمه للتجارة إلا مرة واحدة وهو ابن تسع أو ابن إثنى عشرة سنة، لما رآه بحيرى الراهب، ورأى أمارات النبوة عليه، أخبر عمه بما سيكون من شأنه وحذره من اليهود، ولم تذكر كتب التاريخ شيئًا غير ذلك، فلا يقال إنه أخذ منه شيئًا.

ثانيًا : إن الرسول – ﷺ – عندما ذهب مع خديجة – رضى الله عنها– إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان من العرب الذين تنصروا في الجاهلية، وكان له

(١) القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين ص ٨٥، ٨٦

علم بالكتب السابقة وأخبره النبي – ﷺ – بما رأى، قال له ورقة، هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى....ثم مات ورقة بن نوفل، ولم تكن الروايات أنه – ﷺ – كان قبل هذه الحادثة على معرفة بورقة بن نوفل، أة أنه كان على صلة به بعد ذلك، فلا يقال أيضًا إنه أخذ عنه شيئًا.

ثالثًا : أن الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب من اليهود والنصارى، ولا سيما مكة – إن صح هذا – إنما كانوا يسكنون أطرافها، وكانوا عبيدًا، ولم يكونوا من أهل العلم والمعرفة، حتى يقال إن النبي – ﷺ – أخذ عنهم ما جاء به – ﷺ – من عقائد وتشريعات) (1).

ثم إن نصوص القرآن الكريم صريحة في أنه – عليه السلام – لم يكن يعرف شيئًا من أخبار الرسل، وقصصهم قبل الوحي، وهم متفقون معنا على أنه – عليه السلام– لم يكن يكذب على أحد من الناس، فضلًا عن الكذب على الله – عز وجل– كما اعترف بذلك أعدى أعدائه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى عقب قصة موسى – عليه السلام– في مدين ﱡ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ (2).

وقوله تعالى بعد قصة نوح – عليه السلام –ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين□ □ □ □ □ □ ﱠ (3)**، وكـــذلك قولـــه – تعالى– بعد قصة زكريا وولادة مريم ابنة عمران وكفالته لها :ﱡ □ جم □ حم □ خم□ □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ** (4).

---

(1) الحجج البينات في إثبات النبوات د/ محمد عبد الصبور هلال ص ٥٦، ٥٧

(2) سورة القصص آيتى ٤٤، ٤٥

(3) سورة هود آية ٤٩

(4) سورة آل عمران آية ٤٤

ثم إن النبي – ﷺ – لم يثبت عنه قبل البعثة ولا بعدها أنه كان له اتصالات باليهود إلا في حدود الجوار في المدينة. يقول الدكتور / زقزوق :

(لقد ظل النبي – ﷺ– يدعو إلى الإسلام في مكة حوالي ثلاثة عشر عامًا ولم يثبت تاريخيًا أنه كانت له صلات باليهود على الإطلاق، أما صلاته بالمسيحية فإن القائلين بذلك يضخمون في هذا الصدد لقائه براهب مسيحي يدعى بحيرا في طريق القافلة إلى الشام عندما كان محمد – ﷺ – في صحبة عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام، وكان عمره حينذاك تسع سنوات، فكيف لصبي صغير أن يستوعب ديانة بكاملها في لقاء عابر لم يستمر إلا لدقائق وما الذي يدفع بحيرى لاختيار هذا الصبى الصغير بالذات من بين كل القافلة لتعليمه الدين المسيحي ؟ ولماذا انتظر محمد – ﷺ – ثلاثين عامًا بعد هذا اللقاء لإعلان دعوته ؟ إن هذه القصة غير معقولة، ولا مقبولة) [١].

وأيضًا : لو كان النبي – ﷺ – أخذ، أو تأثر باليهودية والنصرانية لما عارض الكثير من معتقداتهم يقول موريس بوكاي:

(إن القرآن الكريم يتفق مع كل الديانات السماوية السابقة في الإيمان بإله واحد خالق للكون، وأن مرد الجميع إليه، ويرجع هذا الإتفاق إلى أن مصدر هذه الديانات جميعًا واحد، وهو الله تعالى، فلا يجوز أن يكون بينهما تناقض في أصول الاعتقاد، ولكن القرآن الكريم قد عارض كثيرًا من المعتقدات الأخرى السائدة لدى أصحاب الديانتين اليهودية والمسيحية فكيف يقال إذن أن محمدًا استعان بمصادر يهودية أو مسيحية، ألم يكن من الأولى – إذا صح ذلك – ألا

---

(١) الإسلام في مواجهة حملات التشكيك د/محمد حمدي زقزوق ص ٩،١٠ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

يكون هناك أي اختلاف، أو على الأقل يكون اختلافًا هامشيًا، وليس متصلًا بنعتقدات أساسية) [1].

ثم يدلل ذلك المستشرق المنصف على قوله فيقول:

(لقد اشتمل القرآن على حقائق علمية، لم يعرفها العلم إلا في العصر الحديث، وعلى سبيل المثال : ما أشار إليه القرآن من مراحل تطور الجنين في بطن أمه، وحقائق أخرى مثل الأرض، والشمس، والكواكب، والرياح والأمطار... إلخ.

فمن أين أتى محمد بذلك ؟ لا يستطيع أحد أن يقول إنه استعان في ذلك بمصادر مسيحية أو يهودية؛ لأنها لا تشتمل على شيء من ذلك فهل يعقل أنه أتى بها من عند نفسه، وهو الأمى الذي لم يحصل على أي قدر من التعليم ؟ إن كل الشواهد تدل على أنه وحى إلهى، وإن مصدر القرآن لا يمكن أن يكون مصدرًا بشريًا.) [2]

وبعد فهذا مستشرق غير مسلم يشهد بأن القرآن الكريم وحي إلهي مصدره السماء، وليس كلامًا بشريًا والفضل ما شهدت به الأعداء، لقد استشهد هذا المستشرق بأمور تدل على أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى، وليس نصًا بشريًا كما يدعي أركون وأساتذته من المستشرقين.

الشبهة الثالثة : وفحواها : (أن القرآن جاء تلفيقًا من الديانات السابقة) [3]،

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاى نقلاً عن د/ زقزوق ص١١

(٢) المرجع السابق ص١٢

(٣) الإسلام في مواجهة حملات التشكيك د/ زقزوق ص١٣ بتصرف وانظر القرآن المبين د/محمد بحيري ص ٩١ : ٩٣ بتصرف واختصار وانظر : العقيدة والشريعة في الإسلام /

وهذه الشبهة كسابقيتها لا تقوم على دليل علمي، وإنما هو هذيان هؤلاء الحاقدين المتربصين، ونتساءل : هل جاء القرآن مؤيدًا للعقائد والأصول.

يقول د/ زقزوق ٠

١- لو كان القرآن بالفعل ملفقًا من الكتب الدينية السابقة، فهل كان معاصرو محمد ومعارضوه من كل الاتجاهات سيسكتون عن ذلك ؟ لقد كانوا يتصيدون له التهم، فكيف غاب عنهم ذلك ولم يكتشفوا عنه.

إن كل ما استطاع المعارضون أن يدعوه لم يخرج عن إطار التعميمات التي لا تستند إلى أي أساس علمي، وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى هذه الدعاوى الباطلة.

٢- لقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من التشريعات والتعاليم التي لا وجود لها في كتب الديانات السابقة، فضلًا عن إحاطته بتفصيلات الأخبار الأمم السابقة واشتماله على أمور غيبية تحققت بالفعل كما أخبر بذلك القرآن الكريم مثل مصير الصراع بين الروم والفرس. وهذه كلها أمور لم يكن يعرفها محمد – ﷺ – ولا قومه، ولا أصحاب الديانات السابقة.

٣- لقد دعا القرآن الكريم إلى العلم، واحترام العقل و استخدامه، وعلى أساس من تعاليمه الجديدة استطاع المسلمون في فترة زمنية قصيرة نسبيًا أن يبنوا حضارة حلت محل الحضارات السابقة عليها، واستمرت قرونًا عديدة، فإذا كان القرآن قد أخذ من الديانات السابقة، فلماذ لم تشتمل هذه الديانات على هذه التعاليم وتقوم بنفس الدور الذي قام به الإسلام ؟.

جولدزيهر ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين ص٧ ط دار الرائد العربى بيروت بدون تاريخ

٤- القرآن الكريم كله كتاب متسق في نظمه وأسلوبه وتعاليمه، فلو كان ملفقًا من كتب سابقة لكان متناقضًا ومفككًا، غير محكم نظرًا لاختلاف المصادر، وفضلًا عن ذلك فالقرآن الكريم يخاطب العقل دائمًا، ويخلو من الأساطير والخرافات ويعتمد الدليل والبرهان، ويطالب خصومه بذلك قائلًا :

٥- ّٰٱ □ □ □ □ □ لجِ ّ (١) وهذا النهج يعد نهجًا جديدًا غير مسبوق، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يكون مستعارًا من ديانات سابقة.

٦- أما بالنسبة للثقافة الجاهلية – التي قيل أيضًا إن القرآن قد اعتمد عليها فإن الثابت أن الإسلام قد رفض عقائد الجاهلية الباطنة، وعاداتها السيئة وتقاليدها البائدة البالية، وأحل محلها عقائد صحيحة، وعادات حسنة، وتقاليد مقبولة، فما هي الثقافة الجاهلية إذن التي أخذها الإسلام من الجاهلية) (٢).

٧- الشبهة الرابعة: فحواها (زعم بعض الماديين أن اتصال ملك ببشر ليعلمه كلام الله مستحيل؛ لأنه غير خاضع للمشاهدة الحسية) (٣).

وهذه الشبهة يتبين منها الفكر المادي، الذي لا يؤمن إلا بما هو محسوس ولا علاقة له بعالم الغيب، وهو ما يسمى بـ "الوجودية".

(إن هذا الأمر غير خاضع لنواميس البشر، وإنما مرد الأمر إلى قدرة القادر – عز وجل –؛ لأن القادر على كل شيء قادر على أن يرى النبي – ﷺ – الملك وأن

---

(١) سورة البقرة آية ١١١، سورة النمل آية ٦٤، سورة القصص آية ٧٥

(٢) الإسلام في مواجهة حملات التشكشك د/ زقزوق ص ١٣، ١٤، ١٥ بتصريف وإتصار وانظر الحجج البينات في إثبات النبوات ص ٥٦، ٥٧ باختصار

(٣) الحجج البينات في إثبات النبوات د/محمد عبد الصبور هلال ص ٦٣ وانظر الظاهر الإستشراقية ح٢ ص ٣٥٤: ٣٥٦

يسمعه صوته، دون أن يرى الحاضرون ذلك والواقع المشاهد يدلل على ذلك بما يأتي :

١- إن الأرواح تسري في الأبدان، والعواطف والانفعالات موجودة داخل الإنسان كما أن الكهرباء يجري تيارها ليلًا ونهارًا في البيوت والمكاتب والمصانع فهل ينكر الماديون كل هذه الأشياء التي لاتقع عليهم حسهم ؟.

فإن اعترفوا بهذه الأشياء مع كونهم لا يشاهدونها، فكيف ينكرون الوحي !!!!

٢- إن العلم التجريبى الذي لا يدينون الإ له، قد أثبت ببراهين الحس والمشاهدة أن اتصال ملك بإنسان، وسماع الإنسان للصوت الخفي الصادر عن الملك، ورؤية النبي للملك حيث لا يراه أحد من المحيطين به من الأمور الممكنة علميًا أيضًا لما يأتي :

أ- لقد ابتكرت أجهزة علمية، وصلت من الدقة إلى حد تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء.

ب- لقد اخترعت سماعات، تمكننا من سماع ما لا يمكن سماعه بالطرق التقليدية، أو السماعات العادية.

جـ - إن الطاقة الاستماعية غير العادية، ليست قاصرة على الأجهزة والآت العلمية الحديثة، بل لقد وهب الله -عز وجل - بعض الكائنات الحية طاقة استماع خارقة فمثلًا حشرة " العتة" تنادي زوجها من مسافة بعيدة بصوت لا تسمعه، وهي موضوعة على كفك، بجوار أذنك، بينما يسمعها زوجها فيحضر إليها طائرًا؛ لأن العته من الحشرات ذوى الأجنحة وحشرة الجندب، يحك الذكر رجليه، ويصدر بطريقة غير عادية، فتسمعه زوجته وترسل إليه الجواب بطريقة لا نعرفها، فيلحق بها الجندب الذكر حيث كانت وأبو النطيط

يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر ذرة الهيدروجين.

وغير ذلك من أمور ذكرها العلم الحديث، تقرب فكرة الوحي لمن أراد أن يتعظ(١)

وصدق الله حيث يقولﭐ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ (٢)

هذه بعض الشبه التي أوردها أعداء الإسلام من الغرب، وتبعهم في ذلك أذنابهم في الشرق من الذين انبهروا بالحضارة الغربية، فأحدثت لهم هزيمة في نفوسهم، فقلبوا لدينهم ظهر المجن، وذهبوا ينادون أقوامهم في كل مكان أنه لا بد من أن نسير سيرة الغرب في كل شيء ما يحمد، وما يذم كما قال قائلهم – متمسكين بشعارات براقة مثل – الحداثة – والتقدم، والحضارة ونسى هؤلاء أن الإسلام نعى التقليد، ومدح العقل، وأن القرآن حث على استعمال العقل، ودعا إلى العلم، وفضل العلماء، بل وأمر بفتح مغاليق الكون، نسى هؤلاء أن القرآن – ليس كالكتاب المقدس عند الغرب، وإنما القرآن هو كتاب الله تعالى المصون عن التحريف والتبديل، ولئن كان الغرب قد ثار على الكتاب المقدس، والكنيسة، والأديان، فلأنه لم يجد في كتابه المقدس ما يوافق العقل، بل لم يجد فيه ما يدعوا إلى العلم، ناهيك بتسلط رجال الكنيسة، وحجرهم على العقول، وفسادهم، وإفسادهم، فهل وجد هؤلاء المفتونون بالغرب في قرآنهم مثل ذلك؟!!!

---

(١) الحجج البينات د/محمد عبد الصبور هلال ص ٦٣، ٦٤ وانظر : الإسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ١٥٠، ١٥١ ط المختار الإسلامي سنة ١٩٧٧

(٢) سورة فصلت آية ٥٣

المبحث السادس
موقف محمد أركون من الوحي ومدى تأثره بالمستشرقين وفلاسفة الغرب للماديين

تمهيد:

يسعى محمد أركون من خلال كتاباته إلى ما سعى إليه المستشرقون قديمًا، وحديثًا وهو محاولة النيل من القرآن الكريم، بشتى الطرق إما عن طريق التشكيك في القرآن الكريم من ناحية الوحي، أو من ناحية الجمع الخاص بالقرآن الكريم، أو أنه كلام محمد -ﷺ- وليس وحيًا إلهيًا، كما جاء في دراسات المستشرقين والتي قام بتنفيذها، والرد عليها.

أما عمل أركون في مؤلفاته فكان هو جمع آراء المستشرقين كلها، لكنه استخدم أسلوب المراوغة في عرض نقده للقرآن الكريم وسيلاحظ القارىء عند مطالعته لكلام أركون أنه استخدم بعض المصطلحات – التي يحاول أن يوهم القارىء لها – أنها مناهج علمية جديدة، ودراسات حديثة ليس المقصود بها هدم القرآن بقدر ما هي دراسات علمية حديثة، يحاول بها خدمة القرآن الكريم، ومن هذه المصطلحات مصطلح " الأنسنة" " الدوغمائية" " الأنثربولوجيا الدينية[1] " " الفلولوجية"[2] " الحداثة" " تأريخ النص" وغيرها من المصطلحات التي يمتلىء بها كتابه هذا إضافة

---

(١) الأنثربولوجيا: هو ذلك العلم الذي يدرس البشر في ماضيهم وحاضرهم، لكي يفهم هذه الكائنات الهائلة والمعقدة من الثقافات عبر التاريخ، وتنبني الأنثربولوجيا وتتحرك على القواعد المعرفية التي تقوم عليها العلوم الاجتماعية والبيولوجية، وكذلك عبر الإنسانيات مثل التاريخ والفن والفلسفة وعلوم الفيزياء وهي عبارة عن دراسة الإنسان أو علوم الإنسان . انظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) الفلولوجية: مصطلح ظهر في القرن الثامن عشر عني بالدراسات التاريخية التي عرفت فيما بعد باسم فقه اللغة المقارن وتهدف إلى دراسة لغة أو لغات من حيث قواعدها وتاريخ أدبها ونقد نصوصها، وقد يراد بها دراسة الحياة العقلية ومنتجاتها على العموم في أمة ما أو في طائفة من الأمم . انظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة .

إلى رميه أهل السنة من المسلمين بـ " الأرذوكسية الإسلامية" وتمجيده للمعتزلة ومذهبهم، والإشادة بفكر " أبو حيان التوحيدي، إضافة إلى هذا نجد من يستعرض كتب أركون يجد محاولة صريحة وواضحة منه في محاولته لنزع القداسة عن القرآن الكريم وجعله كتابًا أدبيًا لا بد أن يخضع للنقد، ورفع هذه الهالة من التقديس للقرآن الكريم، وغير ذلك من الأمور التي امتلأت بها كتبه، وبحقٍ فاق أركون من سبقوه من المستشرقين في النيل من القرآن الكريم – ولكن بطريقة معقدة تحتاج إلى التفكيك، وحتى لا أكون متجنيًا – على أركون بكلام بلا دليل سأعرض لأقواله من كتبه – ثم أقوم بالرد عليها.

مفهوم " أنسنة":

يقول صاحب مختار الصحاح (أ ن س) – (الإنس) البشر، الواحد (إنسي) بالكسر وسكون النون و(أنَسِى) بفتحتين والجمع (أناسي)، قال – تعالى-: ﴿ ﴾[1] وكذا (الأناسية) مثل الصيارفة والصياقلة، ويقال: للمرأة أيضًا إنسان، ولا يقال: إنسانة).[2]

هذا معنى الأنسنة في معاجم اللغة وواضح أن مفهومها هو من الإنس، أو البشر، ويأتي في مقابل الإنس الجن، ويمكن القول بأن الأنسنة هي الحدوث أو عالم الشهادة وليس عالم الغيب فما هو المقصود " الأنسنة عند أركون".

معنى الأنسنة عند أركون:

يحاول – محمد أركون – من خلال لفظ " الأنسنة" أن يقول إن القرآن أو بعبارته: (النص القرآني قد تأنسن منذ أن تلفظ به النبي – ﷺ- وتحول منذ تلك اللحظة

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٩.

(٢) مختار الصحاح الرازي عن بترتيبه / محمد خاطر ص ٢٨ مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث ط دار الكتب المصرية.

من كتاب تنزيل إلى كتاب تأويل والمصدر الإلهي للنصوص لا يخرجها عن كونها نصوصًا بشرية، لأنها تأنسنت، والنص الخام المقدس لا يعنينا إلا منذ اللحظة التي تموضع فيها بشريًا)، ومن هنا يقول : (إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية)، وسأنقل بعض النصوص لـمحمد أركون التي يلاحظ القارىء من خلالها دعوة محمد أركون إلى " أنسنة الوحي" ونزع القداسة عن القرآن بصفة عامة.

يقول أركون: (لطالما اهتم المفكرون والباحثون المسلمون بالأديان والملل العديدة، ووصفوها في كتب الأهواء والملل والنحل، إلا أنهم ما كان في إمكانهم أن يتحرروا من النظرة القائلة بالدين الحق من جهة وبالنحل والأهواء الضالة من جهة أخرى، ولم تزل تلك النظرة الدوغمائية[1] تتحكم في الذهنية المعروفة بالطائفية، فكل طائفة تدعى أن دينها هو دين الحق، وبالتالي أنها الفرقة الناجية، والأخرى كلها هالكة ضالة.... أقول من الملاحظ أن تلك الحداثة الفكرية فشلت في تعميم الأنوار الحديثة، والتخلي عن ذهنية التحريم أو التكفير والحروب الدينية، وإحلال ذهنية الأنسنة المتفتحة محلها وهي ذهنية تدافع عن حقوق الإنسان، وتحرير الوضع البشري من الاضطهادات والقمع والظلم، والسر في ذلك أن العقل الحديث لم يتقيد بتعاليم الإنتربولوجيا الحديثة). [2]

ذهب أركون أيضًا إلى تأليه الإنسان، وجعله مصدر الحقيقة والجدير بالبحث والدراسة، وأن السعادة تكمن في دراسة الإنسانيات بدلًا من القول بأن الدين هو الذي

---

(١) الدوغمائية – تعنى عند أركون الجمود على الحقيقة والموروث دون نقداً وتفكيك لهذا الموروث – ويقصد القران الكريم.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د/ محمد أركون ترجمة وتعليق هاشم صالح ص ٦ ط. دار الطليعة بيروت.

ضمن للإنسان السعادة فيقول: (ولذلك فقد ألححت منذ سنوات عديدة على ضرورة دراسة العلم الإنتربولوجي وتدريسه، فهو الذي يخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغمائي المغلق، إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير أي على مستوى مصالح الإنسان، أي إنسان كان وفي كل مكان... وإذا ما تم الإجماع الكامل على هذا التوجه المعرفي فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة). (١)

ثم تأتي دعوته إلى تفكيك النص الديني – على حد زعمه – فيقول : (أضف إلى ذلك كله أن علم الأنتربولوجيا الحديث، يمارس عمله، كنقد تفكيكي وعلى صعيد معرفي، بجميع الثقافات البشرية المعروفة، يمارس عمله بعيدًا عن التأويلات التاريخانية الأيدولوجية وقد أثرت الأنتربولوجيا، أو أخصبت التفكير الحديث عن طريق بلورة ما أسمته بالمثلثات الإنتربولوجية... وهي مثلثات من نوع العنف والتحريم والحقيقة أو الوحي والتاريخ والحقيقة، أو اللغة والتاريخ والفكر، سيجد القاريء في هذه الكتب ملاحظات وتنبيهات حول العنف والتحريم أو التقديس، والحقيقة كما يمكن استخلاص توظيفها الجدلي والاجتماعي والنفساني والديني من سورة التوبة، ونصوص عديدة أخرى من الخطاب النبوي) (٢).

والملاحظ من قول أركون السابق دعوته إلى تفكيك النص الديني وهو ما يسميه بعلم الإنثربولوجيا الحديث وهو ما يعنى أن الأنسان منذ القدم قد استرعت انتباهه بعض

(١) المرجع السابق ذات الصفحة.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د/محمد أركون ص٧ بتصرف يسير واختصار.

الظواهر مثل الأحلام والرؤى والمرض واليقظة والنوم، والموت، وكأن القرآن الكريم على حد زعمه ما هو إلا هذه الظواهر الأسطورية عند القدماء، ثم حديثه عن سورة التوبة والتي أفرد لها أركون بحثًا خاصًا ثم تظهر دعوة أركون الخبيثة في آخر قوله السابق " من الخطاب النبوي " وسياق الحديث عنده عن سورة من القرآن تسمى سورة التوبة، ومع ذلك قال عنها " الخطاب النبوي " في إشارة خبيثة إلى القول بأن مصدر القرآن ليس إلهيًا وليس وحيًا، بل إن القرآن هو عمل بشري خاص بالنبي محمد -ﷺ- على حد زعمه .

ثم ينتقل أركون إلى جزيئة أخرى في نفس السياق، فيقول :

(إن الإنتاج العلمي في ما يخص علوم الإنسان والمجتمع لايزال قليلًا في هذه المجتمعات الإسلامية، بل ولايزال سطحيًا مقلدًا، بعيدًا عن الإبداعات، والتحولات، والطفرات المعرفية، التي طرأت مؤخرًا بكل مصطلحاتها، ومفهوماتها ومناهجها، وهي طفرات حصلت في ما يخص الإنتاج الفكري الغربي بشكل عام). (١)

وهو هنا يشير إلى ما حدث في الغرب من الدعوة إلى العلمنة، ورفض الغرب للكتاب المقدس دون إشارة إلى الفرق بين الغرب والإسلام ثم رميه للعرب بالجهل، والسطحية، والتقليد، ولاشك أن فعل الاستشراق في فكر محمد أركون يبدو واضحًا في هذه الجزيئة بالذات وهو قول المستشرقين بجمود العقلية الإسلامية وعدم إبداعها، وهي دعوى قديمة تم الرد عليها ثم يقول أركون مفصحًا عن نواياه أكثر (إن مفهوم الوحي في السياق القرآني قبل انتشار " المصحف

---

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د/محمد أركون ص ٨، ٩ بتصرف يسير واختصار.

الرسمي المغلق" كان أكثر اتساعًا من حيث الآفاق والرؤية الدينية مما آل إليه بعد انغلاق الفكر الإسلامي داخل التفسير التقليدي الموروث عن الطبري، ومن نقل عنه حتى يومنا هذا، فقد أصبح الوحي بعدئذ منحصرًا فيما ورد في القرآن وحده، لأن المفسرين والمتكلمين، والفقهاء، انفصلوا عن القراءة التاريخية للوحي ، واكتفوا بالقراءة اللاهوتية الأرثوذكسية بالمعنى السنى، والشيعي، والخارجي، ولم يختلف في ذلك موقف اليهود، والمسيحيين، إذ حرصت كل أمة أو ملة على احتكار الوحي الكامل الصحيح لنفسها.... وهذه النظرة إلى ما يسمى بـ " تاريخ النجاة" في الدار الآخرة لم تعد تكفي اليوم لإعادة التنظير لمفهوم الوحي، وإنما يجب أن نضيف إليها ما اخترعه العقل الحديث فيما يتعلق بالمعرفة القصصية، أو المعرفة التاريخانية مع التكميلات، والتصحيحات التي أوضحها العلم الإنتربولوجي، وفلسفة الظاهرة الدينية، كما نجدها في فكر ما وراء الحداثة، ونقصد به تلك البحوث، والمناقشات، والمراجعات النقدية، الدائرة حاليًا حول العلمانية، إني أعرف أن هذه الاتجاهات غائبة للأسف الشديد عن الساحة الإسلامية التي طغى عليها استخدام الدين كإيدلوجيا للكفاح السياسي وينتهي أركون في مقدمة كتابه القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني إلى أن هناك نظام معتزلي حنبلي، إمامي، إسماعيلي سني، صوفي، فلسفي، تاريخاني، قصصي، علماني، أصولي، ماركسي فرويدي، بنيوي، كاثوليكي، تلمودي، بوذي... إلخ للحقيقة، والعولمة كمرحلة تاريخية جديدة من مراحل الفكر تفتح لأول مرة المجال من أجل المقارنة، بين أنظمة الحقيقة التي سيطرت على البشر عبر التاريخ، وهي إذ تفعل ذلك، تخضع كل نظام لمنهجية

الحفر الأركيولوجي[1] العميق من أجل الكشف عن البنيات التحتية المدفونة، التي انبنت عليها الحقائق السطحية الظاهرة، وهذه المرة لا يمكن إستثناء أي نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنه إلهي منزل، وغيره بشري زائل، أو دنيوي عرضي، لا فجميع التراثات الدينية سوف تخضع لمنهجية النقد التاريخي، والحفر الأركيولوجي في الأعماق، وإذا كان هناك نظام للحقيقة يستحق الإستثناء، فسيجبر لا محالة، على أن يجدد بيانه وبراهينه، وتأصيله، بحسب ما تقتضيه عولمة الذهن البشري، وما يصاحب ذلك من المعرفة الكونية العالمية). (٢)

ولينظر القارىء كيف وضع أركون الدين الإلهي الذي مصدره الوحي بين فلسفات ونحل وضعية ليشير إلى أنه لا مقدس ولا موحى به بل الكل عرضة للنقد ولم يفرق بين ما هو إلهي وما هو بشري، ولا ما هو مقدس، وما هو وضعي، ولا شك أنها نظرة الغرب فيما يتعلق بأديانهم التي طالتها يد التحريف، أو لم تأت بشريعة وهو على خلاف الإسلام، فأراد أركون أن ينزع القداسة عن القرآن على غرار أساتذته في الغرب !!!!!

لقد ارتمى هؤلاء المفتونون بالغرب في أحضان مستشرقين قتلهم التعصب

---

(١) الحفر الأركيولوجي: مصطلح تكلم به الفيلسوف ميشيل فوكو ومعناه التعبير عن فرع علمي يدرس الحضارات القديمة من حيث آثارها المادية والثقافية ويعتمد على طرائق مختلفة في البحث والتنقيب/، وكلمة "أركيو" الحفر في طبقات ومستويات متعددة، ولكن فوكو يأخذ من الحفر طريق ومنهج يفعله في دراسة التجربة التاريخية ولذا يسمى أيضًا بالمنهج الحفري . ينظر: المدونة الالكترونية أحمد حمدي حسن حافظ لسنة ٢٠١٢م ، ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ٩، ١٠ بتصرف واختصار.

البغيض وكرههم للإسلام، وحنقهم عليه، محاولة النيل منه منذ آلاف السنين، ولعل ما يردده أركون وضربائه ليس جديدًا، بل ليس من بنات أفكارهم، وإنما هو ترديد لكلام هؤلاء المستشرقين الذين أكل قلوبهم الحقد على الإسلام وكتابه ونبيه، فليس فيما يدعى أركون من مصطلحات يزعم أنها حديثة شيء جديد، وإنما هو ترديد الفكر وفقط بأسلوب خبيث يقول الدكتور / محمد عمارة نقلًا عن أحد أساتذة الوجودية الكبار الذين عاشوا أغلب عمرهم يدافعون عن الوجودية، ويؤسسون لها وهو الدكتور / عبد الرحمن بدوي (كذلك وجد الدكتور بدوي – بباريس نماذج من الأساتذة والباحثين العرب الذين سقطوا في غواية الاستشراق الغربي، فأصبحوا خدمًا لهذه المخططات الاستشراقية ومن هؤلاء : د/ محمد أركون الذي قال عنه الدكتور : بدوي : (وهل لأركون من رسالة سوى تشويه التراث الإسلامي ؟!..إنه تلميذ في مدرسة الاستشراق الإستعماري الكبرى، التي تضع نصب عينيها كهدف ثابت تشويه الإسلام، والإساءة إلى نبيه، والطعن في قرآنه المجيد، وهو يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها... وهو مشكوك في وطنيته لقد جنى على الفكر العربي جناية لا تغتفر.. ولقد كتب مقدمة لترجمة (كازيمسكي) للقرآن حوت أخطا، ومغالطات لا تكاد تغتفر لدراس مبتديء في تاريخ الفكر الإسلامي).[١]

هذه شهادة الدكتور/ عبد الرحمن بدوي الذى كان أحد أهم أعمدة الوجودية في العصر الحديث، وأحد أساتذة السوربون، وليون، وبرن بسويسرا، وتتلمذ على يد أكبر المستشرقين، والذي كان يجيد الكثير من لغات الغرب مثل الفرنسية،

(١) دفاع عن محمد – ﷺ – ضد المنتقصين من قدره د/ عبد الرحمن بدوى ترجمة كمال جاد الله دراسة وتقديم د/محمد عماره ص١٣

والانجليزية والألمانية، والإسبانية والإيطالية، واللاتينة، واليونانية، والذي هداه الله في آخر حياته للإسلام مرة ثانية ليهدم الوجودية التي ظل ردحًا من الزمن يؤمن بها، ويكتب عنها، ويدعو لها، أقول هذا فيه ليعلم القارئء أن حكمه على أركون في قوله – يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها – لم يأت من فراغ أو من شخص عادي إنما عالم له ثقله ومكانته.

إذن لم يقدم أركون الذي وضع لنفسه، ووضع له أساتذته من المستشرقين هالة من التعظيم، والتبجيل، شيئًا يذكر مما ادعاه من العلم والمعرفة التي لا أساس لها على حد تعبير الدكتور عبد الرحمن بدوي.

والسؤال من أين أتى محمد أركون بما قال به في الوحي، وهل حقًا إنها نظريات علمية تخصص فيها أركون، ولم يعرفها أحد قبله ؟

الإجابة على هذا السؤال، أن أركون ليس بدعًا في هذا، وإنما سار سيرة أساتذته من المستشرقين أمثال " هير شفيلد ١٨٥٤ – ١٩٣٤م) و"جولد تسيهر ١٨٥٠ – ١٩٢٠م"، "هورفيتز ١٨٧٤- ١٩٣١م" و "موبير ١٨١٩- ١٩٠٥م" و "وود فيجو مراسن ١٦١٢- ١٧٠٠م" يقول الدكتور / عبد الرحمن بدوي، بعد ذكر أسماء هؤلاء المستشرقين : (لقد كان بعض من هؤلاء المستشرقين مدفوعًا بالتبشير، والتعصب المتحفز مثل "وليم موبير ١٨١٩ – ١٩٠٥ م" و" زويمر ١٨٦٧- ١٩٥٢م" كما وقع بعضهم ضحية لهوس مرضي سببه ذلك التعصب الأعمى، المختلط بالزهو والغرور، ومنهم من يختلق أكذوبة ويصبح ضحية لتلك الأكذوبة). (١)

---

(١) دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره د/ عبد الرحمن بدوى ٣٢: ٣٥ بتصريف واختصار

وتكملة لإجابة السؤال الذي طرحته أقول : إذا ثبت أن أركون لم يقدم جديدًا إلا ترديد كلام أساتذته من المستشرقين، لعله أن يكون كلامه أوقع في نفوس سامعيه؛ لأنه ينتسب إلى الإسلام، والعروبة، ويتسمى بأسمائهما، وهذه حيلة الاستشراق الجديدة في تربية كوادر عربية إسلامية ولاؤها للغرب و الاستشراق وهم من يطلق عليهم المتغربون، فمحمد أركون أحد هؤلاء، لقد كان قبله وبعده أجيال من هؤلاء منهم طه حسين، أحمد لطفى السيد، محمد أحمد خلف الله، ونصر أبو زيد وغيرهم ممن جندهم الاستشراق والاستعمار لخدمة أهدافه في بلاد الإسلام فذهب هؤلاء ليخربوا عقول المسلمين باسم العلم والمدينة بأن القرآن نص بشري، لا قدسية له، شكله الواقع، وهو تلفيق من الكتب السابقة ومشابه لشعر الصعاليك، والفارق بين النبي والكاهن هو في قوة المخيلة وليس في الإعجاز، و العقيدة مؤسسة على الأساطير الشاسعة في وعي الناس والشريعة صاغت نفسها مع حركة الواقع.

والمطلوب : ليس فقط "تحويل الإلهيات إلى إنسانيات، وإنما إلغاء الوحي وعقائد التوحيد والبعث والجزاء.

هذه عقائدهم التي أخذوها عن الغرب فيما يسمى بعصور التنوير، وهو تنوير غربي جاء مقابلًا للظلام الذي كان يعيشه الغرب، فأين عصور الظلام في الإسلام حتى يقابلها ظلام ؟!!. (١)

يقول الدكتور / محمد عمارة تحت عنوان : (الرؤية المادية للقرآن الكريم : لقد تواترت في القرآن الكريم الآيات المحكمات التي تتحدث عنه باعتباره تنزيلًا نزل به الروح الأمين جبريل – عليه السلام – من لدن رب العالمين على قلب رسول

(١) التفسير الماركسى للإسلام د/محمد عماره ص١ ط دار الشروق

الله ونبيه محمد بن عبد الله – ﷺ –.

ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ لج ِّ [1] "، ﭐﱡ □ □ □ □ * □ □ □ □

* □ نى ني □ ير ِّ [2]، ﭐﱡ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ ِّ [3]، ﭐﱡ بى بي

تر □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ ِّ [4] ﭐﱡ تخ تم ته ثم □ جم □

حم □ ِّ [5] ﭐﱡ يم يي □ □ □ □ □ ّٰ [6] ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □ ِّ [7] ﭐﱡ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ * □ □

نم نى □ □ □ □ □ □ ِّ. [8]

تلك نماذج من آيات القرآن المحكمات، التي تفصح بأفصح لسان، وأوضح بيان عن أن القرآن الكريم قد نزل من عند الله إلى الواقع الأرضي، والعالم البشري وأنه قد كان له – أي التنزيل القرآني – كأي تنزيل وجود مفارق لهذا الواقع الذي نزل فيه، وهبط إليه، قبل النزول والتنزيل.

وكما لا يختلف العقلاء على أن المطر الذي ينزل من السماء إلى الأرض، قد كان له وجود مفارق للأرض قبل أن ينزل عليها، فإن أحدًا من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وأقطارهم وعصورهم – لم يختلف على أن القرآن – التنزيل- الذي نزل به جبريل – عليه

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٦

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ – ١٩٤

(٣) سورة آل عمران آية ٣

(٤) سورة النساء آية ١٣٦

(٥) سورة الفرقان آية ١

(٦) سورة الزمر آية ٢٣

(٧) سورة البقرة آية ٢٣

(٨) سورة الإسراء ١٠٥، ١٠٦

السلام- من عند الله على رسوله، كان له وجود مفارق للواقع الذي نزل فيه قبل الإيحاء به إلى النبي – ﷺ – على هذا المعلوم من الدين بالضروره – أي الذي لم يختلف فيه أحد أجمع المسلمون واجتمعوا، وذلك بصرف النظر عن تأويلات العلماء وتصوراتهم التي كان عليها القرآن الكريم في هذا الوجود المفارق للواقع البشري قبل تنزيله والوحي به). [١]

وهذا الكلام يبطل قول أركون، ونصر أبو زيد بأن القرآن تشكل في الواقع، ولم يكن له وجود سابق على تشكله في الواقع هذا التشكل الذي صنعته الأبنية الاقتصادية والإجتماعية والسياسية.

أما الرد على قول أركون ومدرسته بأنه (ليس للنص القرآني قداسة نظرًا لألوهية مصدره على اعتبار أن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عامًا). [٢]

يجيب الدكتور / عمارة بقوله : (لست أدري ما وجه التناقض بين أن يكون القرآن نصًا لغويًا فهو عربي اللغة – وبين أن يكون إلهي المصدر ومقدسًا ؟! وهل تحول لغوية الشعر بينه وبين شعريته ؟! وبينه وبين الشاعر الذي أبدعه ؟! وهل تحول لغوية النص البليغ بينه وبين بلاغته ؟! وبينه وبين البليغ الذي أبدعه ؟!)[٣].

ويرى أركون أيضًا ومدرسته أن : (في القرآن شبهًا من حيث تركيبه بالشعر

(١) التفسير الماركسى للإسلام د/محمد عمارة ص ٤٢

(٢) نقد الخطاب الديني د/ نصر حامد أبو زيد ص ١٤ بتصرف واختصار القاهرة ١٩٩٢م

(٣) التفكير الماركسى للإسلام د/محمد عمارة ص ٤٦

الجاهلي وبالمعلقات الجاهلية، وأن الفارق بين تركيب القرآن وبين الشعر الجاهلي أن القرآن قد تشكل في مدى زمن زاد على العشرين عامًا، وأن لدلالاته مستويات متعددة في السياق الخاص بكل جزء من أجزاءه، وأن القرآن منظومة من مجموعة من النصوص) [1].

وهذا الزعم ليس جديدًا قال به المستشرقون قديمًا بأن النبي – ﷺ – تأثر بشعر – أمية بن أبي الصلت – وقد قال بهذا الرأي الدكتور طه حسين في كتابه "فى الشعر الجاهلى" ونصر حامد أبو زيد في كتابه "مفهوم النص" وسار أركون على نفس المنهج، فالمدرسة واحدة، والمنهج واحد، والتلاميذ كثر، ولقد رد الله تعالى على هؤلاء وغيرهم بقوله- تعالى-: ﱡﭐ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ [2] لا شبه بينه وبين الشعر بل أجمعت الأمة على أن كتاب الله تعالى "ذكر وقرآن مبين " والمسلمون قد أجمعوا و اجتمعوا على أن (عربية القرآن – لغة ونظمًا إنما هي فعل إلهى وليست إضافة بشرية، ولا إبداعًا إنسانيًا، ولا هي من عند رسولهم – عليه الصلاة والسلام – فالله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل هذا القرآن عربيًا وأوحاه عربيًا، وجعله عربيًا فعربيته جزء من بنيته وجوهره وحقيقته وهويته، وهذه العقيدة الإسلامية مصدرها القرآن الكريم جاء في العديد من الآيات المحكمات من مثل ﱡﭐ □ □ □ بج بح بخ ﱠ [3]، ﱡﭐ نج نح نخ نم نه □ هم □ يج يح يخ يم □ □ □ ﱠ [4]، ﱡﭐ □ □ □

(١) مجلة القاهرة مقال بعنوان إهداء السياق في تأويلات الخطاب الديني دم نصر أبو زيد عدد يناير ١٩٩٣

(٢) سورة يس آية ٦٩

(٣) سورة يوسف آية ٢

(٤) سورة طه آية ١١٣

□ □ ِ (١)،ﱠ تي □ □ □ □ □ □ ِّ (٢) "

فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعله عربيًا، والجعل معناه : تصيير الشىء على حاله دون حالة أخرى، أي أن عروبة اللسان القرآني هي فعل إلهي كالنظم له والدلالات فيه، يؤمن المسلمون أيضًا بأن عروبة القرآن هي اطراد لسنة إلهية في وحيه إلى سائر الرسل والأنبياء، أن يكون الوحي بلسان القوم الذين يرسل إليهم الرسول، أو تبدأ فيهم الدعوة إلى الرسالة ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ نى ِ (٣).

فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن نزل من عند الله، ومن ثم فقد كان له وجود قبل التنزيل، والمسلمون يؤمنون بأن القرآن مصدره الله، وله قداسة مصدره الإلهي، والمسلمون يؤمنون بأن القرآن هو الوحي الخاتم الذي حفظه الله من التحريف، والمسلمون يؤمنون بأن القرآن ليس شعرًا، ولا هو مما يشبه في نظمه الشعر، والمسلمون يؤمنون بأن عروبة القرآن وعربيته تنزيل ووحي وجعل إلهي) (٤).

ولكن أركون ومدرسته يرون غير ذلك مرددين أقوال المستشرقين دون خجل ولا مؤاربة لشأنهم شأن أساتذتهم يدعون ما لا يوجد فيهم من الحياد، والعلم، وهو من العصبية والجهل بما لا يخفى على لبيب ثم تحدث – أركون، ومن حذا حذوه عن ما سماه بـ (تاريخية) النص وهو ما يعني أن القرآن خطاب تاريخي، وأنه ليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، وأن القرآن خطاب تاريخي.

---

(١) سورة الشورى آية ٧

(٢) سورة الزخرف آية ٣

(٣) سورة إبراهيم آية ٤

(٤) انظر التفسير الماركسى للإسلام د/محمد عماره ص٥٤:٥ بتصرف واختصار كبير وانظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني د/محمد أركون ٢٠: ٢٣

وهو قول باطل فنحن نؤمن بأن القرآن محكم ومتشابه، وأن : (متشابهه يفهم، ويفسر بإرجاعه إلى محكمة، وأنه يفسر بعضه بعضًا، وأن "أسباب النزول" تضع القاريء والمفسر في إطار لملابسات، والدلالات الأصلية، فتعين على الفهم في ضوء واقع عصر التنزيل، وأن فهم دلالات القرآن لا بد وأن يكون بدلالات ألفاظه في عصر الوحي، وليس بالدلالات التي طرأت على الألفاظ بعد عصر التنزيل، والمسلمون يؤمنون بأن هذا المنهاج، الذي يستحضر في فهم القرآن وتفسيره الدلالات الأصلية والسياق الأول، إنما ما يقتضيه إيمانهم بأن هذا القرآن هو الوحي الخاتم للشريعة الخاتمة. فلا "مرحلية " ولا " تاريخية" في فهمه وتفسيره، لأن المرحلية والتاريخية تتنافيان مع خلود القرآن لخلود الشريعة التي جاء بها..) (1).

يقول الإمام /محمد عبده : فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعمله في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة – كلفظ "الهداية وغيره – ويحقق كيف يتفق معناه مع معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب بين معانيه.. إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة على معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وإئتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته) (2) .

ثم يقول الإمام في موضع آخر : (فداوم على قراءة القرآن، وتفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي)

(1) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ٢٥

(2) الأعمال الكاملة للإمام /محمد عبده ح٤ ص ١١ دراسة وتحقيق د/محمد عماره ط القاهرة ١٩٩٣م

[1] وهذا المنهج (اللاتاريخي) أي الرافض لربط المعاني بتاريخ بعينه تطوى صفحتها بمرور هذا التاريخ.. هو عند المسلمين دين، وليس خيارًا إنسانيًا لمنهج من المناهج في التعامل مع النصوص، لارتباطه بختم القرآن للوحي الإلهي، وختام الإسلام لشرائع السماء إلى الإنسان، وبمعنى الحفظ الإلهي لهذا القرآن.. فالقرآن ألفاظ ونظم ودلالات، ولن تكون هناك قيمة فكرية إذا وقف الحفظ عند حدود الألفاظ، مع إهدار المعاني وتجاوزها فعندما يقول الله سبحانه وتعالى ﱡﭐ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ [2] فإنه يشرع لخلود القرآن – ألفاظًا ونظمًا ودلالات – لتظل ثوابت العقيدة والشريعة خالدة، ولتستمر الصبغة الإسلامية لحضارة الإسلام، عبر الزمان والمكان..

هذا هو الاعتقاد الإسلامي في خلود القرآن.. و"تاريخية " معانيه وأحكامه) [3].

لكن أركون يريد أن يجعل من القرآن حدثًا تاريخيًا، وهو تفسير "مادي" وضعى ويترتب على قول أركون بتاريخية النصوص عدم الثبات، أو الإستمرارية، أو الخلود ونسأل الدكتور / أركون : إذا صح كلامك عن التاريخانية التي تدعيها : هل يبقى مع ذلك الحفظ حفظًا متخفيًا لصور الألفاظ، التي فقدت معانيها ودلالاتها بانتهاء عصر النبوة، وتغير جوهر القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد – ﷺ – وذلك بتعدد القراءات مع تعدد القراء لهذا القرآن ؟!!

إنه تحويل لألفاظ القرآن – بعد تفريغها من المعاني التي أنزلها الله فيها إلى مجرد أوعية فارغة، يصب فيها كل قارىء – لقراءة غير بريئة المفاهيم غير البريئة التي

(١) المرجع السابق ح١ ص٦٧

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) التفسير الماركسي للإسلام ص ٦١ بتصرف واختصار

يراها...!!

تلك هي تاريخية النصوص، التي ذهبت إليها الوضعية الغربية، عندما رأى فلاسفة التنوير الغربي في النصوص الدينية طور طفولة العقل البشري التي تجاوزتها الميتافيزيقيا، والتي طوت الوضعية صفحتهما معًا، فأقامت هذه الوضعية، وهذا التنوير الوضعي "قطيعة معرفية "مع معاني تلك النصوص التاريخية التي تجاوزها وطوى صفحة معانيها ودلالاتها الأصلية التطور والتاريخ) [1].

وبذلك يكون أركون بقوله هذا، ألغى الثوابت، وقطع صلات الدين بمصدره الإلهي عندما أنسن الوحي !!!.

وأقول لأركون، وأساتذته من فلاسفة التنوير الغربي، والمستشرقين وأذنابهم ممن نهجوا نهجهم، وكانوا أبواقًا للإستشراق الغربي إن المؤمنين بالإسلام لا يختلفون على :

ألوهية القرآن الكريم، وقدسيته لأنه كلام الله القدوس.

مفارقة ظاهرتي النبوة والوحي للواقع والطبيعة وقوانينهما...

خلود المبادىء والقواعد والمقاصد والأحكام التي جاء بها النص القرآني بحكم كونه الوحي الخاتم للشريعة الخاتمة – فلا وحي بعد القرآن، ولا نبوة بعد محمد – ﷺ – ولا شريعة بعد شريعة الإسلام.. الأمر الذي يجعل تاريخية أحكام النص القرآني هي وختم النبوة والرسالة وخلود الدين على طرفى نقيض). [2]

ولست أدرى : ماذا ستكون عليه تصوراتنا للعقائد الإسلامية، إذا نحن لم نقف

---

(١) التفسير الماركسي للإسلام ص ٦٢، ٦٣ وما بعدها بتصريف واختصار

(٢) المرجع السابق ص ٧٢ :٧٣ بتصريف واختصار شديد

عند حدود المعانى التي حددها الوحي الإلهي، متجاوزين المعنى إلى البحث عن المغزى – كما يقول أركون – ومتجاوزين الحقيقة إلى المجاز ؟!.

إن عالم الغيب، والجنة والنار، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بل والألوهية والتوحيد، والخلق والملائكة... إلخ ستتحول جميعًا إلى مجازات، وتصورات متحررة تمامًا من المعانى التي حددته لها آيات القرآن !!!.

هذا ما يريده فلاسفة التنوير الغربي من أنسنة الوحي، وهذا ما سار عليه تلاميذهم في ديار الإسلام جيل بعد جيل، وصدق الله العظيم ﱡ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى ﱠ(١).

#!#

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة مع محمد أركون المسلم العربي تبين لي بوضوح شديد مدى تأثر المثقفين المسلمين بالنموذج الغربي، ذلك النموذج الذي يطلق عليه جيل التنويرين، أو الحداثيين، أو ما يسمى بالحضارة المادية في الغرب.

ولقد أشرت في ثنايا البحث إلى أن مؤدى هذا الفكر الغربي المادي جاء كنتيجة حتمية لما آلت إليه مجتماعاتهم من التخلف والجمود وعدم الاعتراف بالعلم، وسيطرة الباباوات على شؤون الدنيا والدين وتدخلهم في كل مناحي الحياة، وفرض السلطة الكهنوتية، وكان نتيجة كل ذلك هو الثورة على الدين التي تحط من قدر العلم، وتقلل من شآن العقل، بل وتعطل وظيفته.

ثم ورث جيل من مفكرينا ومثقفينا هذه الأيدلوجيات والثقافات دون النظر إلى نقطة الاختلاف بين الإسلام، وبين غيره من الأديان التي دخلها الوضع

---

(١) سورة التوبة آية ٣٢

والتحريف.

لقد كان للدراسات الاستشراقية التي قام بها الغرب أثر كبير في تكوين عقلية هؤلاء المثقفين، والمفكرين، فذهبوا يرددون أفكارهم، ويشجعون نظرياتهم، بحجة أنه لا تقدم إلا إذا سرنا سيرة الغرب من رفض الدين، وإقصائه من كل جوانب الحياة وتناسى هؤلاء أن النصرانية لا تمتلك شريعة للعمران الدنيوى بل تركزت تعاليمها ووصاياها على خلاص الروح، وهي ثوابت ليس فيها المرونة التي تقتضيها شريعة العمران المتطور دائمًا فهل يستطيع منصف أن يقرر وجود شبه بين حضارتنا الإسلامية وتطورنا التاريخي، ورؤية الإسلام لعلاقة الدين بالدنيا، وبين هذا الذي حدث في الغرب ؟!

برغم أن الإسلام له تفرده الذاتي، وهو مايعني أنه يرفض التبعية، إلا أن هؤلاء ساروا في فلك التبعية، دون تبصر لحقيقة الإسلام التي تحث على العلم، وترفع من شأن العلماء وتنفي الجمود، وتنم التقليد، وتعلي من شأن العقل، بل نسي أو تنكر هؤلاء للإسلام الذي يدعوا إلى إعمال العقل، وباقي الحواس من أجل كشف الحقائق الكونية، والعلمية.

جاء جيل المتغربين، أو المقلدين للحضارة الغربية والفكر المادي وكان من هذا الجيل الجزائري محمد أركون الذي دعا إلى نقد العقل العربي ، وثار على كل ما هو مقدس، متهمًا إياه بأنه أساطير وضعتها " الأرثوذكسية الإسلامية" على حد عبارته، وهي عبارة تمثل انتقاصًا من شأن أهل السنة والجماعة.

ثم حاول أيضًا النيل من القرآن الكريم، وهي محاولة ليست جديدة، فهناك كثير ممن يطلق عليهم مفكرين في بلاد الإسلام بل ومسلمون حاولوا النيل من القرآن الكريم، وهو كثر، والمتصفح لآراء هؤلاء يرى دائمًا تأثرهم بأساتذتهم من

المستشرقين.

دعا محمد أركون إلى تفكيك النص الديني ، معتبرًا أنه نص كأي نص عرضة للنقد والتفكيك، وأن القرآن ليس وحيًا إلهيًا كما يعتقد المسلمون، وإنه بمجرد – تلفظ النبي– ﷺ – خرج من الألوهية إلى البشرية، بل غالى أركون فزعم أن جمع القرآن قد شابه الزيادة والنقصان نظرًا للحياة السياسية وقت الجمع، ثم تطرق أركون إلى تاريخ النص، وهو مايعنى ارتباط القرآن بزمن النزول مما يترتب عليه عدم صلاحية الشريعة الإسلامية في كل زمان، وعدم عالمية الاسلام.

ادعى أركون كذبًا بأن القرآن كتاب ملفق من اليهودية والنصرانية وأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم– سمع من اليهود والنصارى، وهي فرية ليست جديدة، بل تؤكد ما أشرت إليه من تأثره بأساتذته في السوربون، علمًا بأن أركون ذكر اسم النبي – ﷺ– في كتبه آلاف المرات دون أن يصلى عليه مرة واحدة وهو ما ينم عن اعتقاده بأنه ليس رسولًا ولا نبيًا.

زعم أركون، ككثير سبقوه بأن القرآن اعتمد على الشعر الجاهلي، وهي أيضًا فرية ليست بالجديدة، فقد قال بها أساتذته من المستشرقين بل ورفقائه أمثال الدكتور / طه حسين وغيره.

استخدم أركون من أجل أن يخفي حقيقته بعض نظريات علم الاجتماع، وعلم النفس حتى لاتثور عليه ثورة المسلمين مثل ماحدث لصاحبه الدكتور/ نصر أبو زيد أو الدكتور طه حسين فألبس أقواله ثوبًا علميًا، بل إنه من شدة رفضه للعروبة ولغة القرآن كتب جميع كتبه بالفرنسية والألمانية، ولم يكتب بالعربية شيء، وهو ما يعكس اتجاهاته الغربية، وتنكره للعروبة والإسلام.

هذا مايدعو إليه محمد أركون باسم العلم والبحث العلمي والعلم من ذلك براء، ٱ□
□ □ □ □نم نى □ □ □ ِّ[١].

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت إلى ما أصبوا إليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

---

(١) سورة التوبة آية ٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله

١- الإسلام بين التزوير والتنوير. د/ محمد عمارة ط. دار الشروق .

٢- الإسلام بين الرسالة والتاريخ. عبد المجيد الشرفي. ط. دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى٢٠١١م.

٣- الإسلام في مواجهة حملات التشكيك د/ زقزوق.ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٤- الإسلام والأخلاق والسياسة د/ محمد أركون : ترجمة هاشم صالح ط. مركز الإنماء القومى بيروت ط ١-١٩٩٠اليونسكو باريس.

٥- الإسلام يتحدى- وحيد الدين خان. ط. المختار الإسلامي ١٩٧٧.

٦- الإسلام، أوربا، الغرب. د/محمد أركون. ترجمة هاشم صالح. ط. دار الساقي بيروت. ط ٢-٢٠٠١.

٧- إشكاليات الخطاب العربي المعاصر. كمال عبد اللطيف. ط. دار الفكر- دمشق ٢٠٠١م.

٥- إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر د/مرزوق العمرى، ط. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسطنطنية، ٢٠٠٦.

٨- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. دراسة وتحقيق د/ محمد عمارة ١٩٩٣م.

٩- الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون.د/ كيحل مصطفى ط. دار الأمان الرباط. المغرب ط ١-٢٠١١.

١٠-تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط. د/ يوسف كرم ط. دار القلم بيروت.

١١-تاريخ الفلسفة الحديثة د/يوسف كرم ط. دار القلم بيروت.
١٢-التفسير الماركسي للاسلام د/ محمد عمارة. ط. دار الشروق.
١٣-الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة. جمع وتقديم. محمد خلف الله ط٢ مكتبة النهضة المصرية.
١٤-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية. ط. مطابع المجلد التجارية.
١٥-الحجج البينات في إثبات النبوات د/ محمد عبد الصبور هلال ط. دار الطباعة المحمدية ط ١-١٩٩٦م.
١٦-حضارة العرب جوستا نلوبون. ترجمة عادل زعتر ط. بيروت ١٣٢٩هـ.
١٧-الخطاب العربي المعاصر.د/ محمد عابد الجابري. ط. بيروت ط. ٦-١٩٩٩.
١٨-دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره. د/ عبد الرحمن بدوى ترجمة كمال جاد الله. دراسة وتحقيق د/ محمد عمارة. ط. مجمع البحوث الاسلامية.
١٩-الديانات والعقائد في مختلف العصور. أحمد عبد الغفور عطار.ط. ١٤٠١ مكة المكرمة.
١- الرسالة : الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. المكتبة العلمية ببيروت.
٢٠-رسالة التوحيد للإمام / محمد عبده ط. دار المنار.ط ١٠-١٣٦١م.
٢١-روح الحداثة ط عبد الرحمن المركز الثقافى العربي بيروت ط ١-٢٠٠٦.
٢٢-السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/ محمد محمد أبو شهبة ط. دار الطباعة المحمدية ١٩٧٠م.
٢٣-صحيح البخاري للإمام البخاري ط. دار ابن كثير اليمامة بيروت.

٢٤-صحيح مسلم للإمام مسلم ط. دار الجيل بيروت.
٢٥-الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الاسلامية د/ سياسي سالم الحاج ط. منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩١.
٢٦-عصر الإلحاد -محمد تقى الأميني الندوي. ترجمة. مقتاي حسن ياسين. ط. دار غريب بالقاهرة.
٢٧-العقيدة والشريعة في الاسلام -جولد نريهر - ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين ط. دار الرائد العربي بيروت.
٢٨-العلم والدين في الفلسفة المعاصرة -إميل باترو ترجمة د/ أحمد فؤاد الأهوانى. ط. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣.
٢٩-العلمنة والدين د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ط. دار الساقى بيروت. ط ٣ -١٩٩٦.
٣٠-الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم. ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ.
٣١-الفكر الإسلامي الحديث د/ محمد البهى ط. دار الفكر بيروت.
٣٢-الفكر الإسلامي قراءة علمية د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ط. المركز الثقافى العربي بيروت. الدار البيضاء ط ٢-١٩٩٢م .
٣٣-الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.د/ محمد أركون. ترجمة هاشم صالح. ط. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٩٣.
٣٤-الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل. د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح. ط. دار الساقي بيروت.
٣٥-فلسفة الدين والتربية عند كانت د/ عبد الرحمن بدوي ط. المؤسسة العربية

للدراسات والنشر بيروت ط ١-١٩٨٠.
٢- فى التراث والتجاوز. على أو مليل، ط. المركز الثقافي العربي المغرب بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣.
٣٦-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أزوالد ديكرو، جان مارى سشايغرس، ترجمة: منير عياش، ط. المركز الثقافى العربي المغرب – بيروت، ٢٠٠٧.
٣٧-القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين. د/ محمد بحيرى إبراهيم ط. دار الطباعة المحمدية ١٩٨٤.
٣٨-القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني :- د/ محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ط. دار الطليعة بيروت.
٣٩- قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/توفيق الطويل ط. دار مصر للطباعة.
٤٠-قضايا في نقد العقل الديني د/ محمد أركون ترجمة هاشم صالح ط. دار الطليعة بيروت ط ٣-٢٠٠٤.
٣- لسان العرب: ابن منظور، ط. دار احياء التراث العربي- بيروت.
٤١-محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة. ط. دار الفكر العربي .
٦- مختار الصحاح :- للرازي، ترتيب: محمد خاطر، مراجعة: لجنة من مركز تحقيق التراث، ط. دار الكتب المصرية.
٤٢-المدخل إلى الفلسفة –أرفولد كولبة.ترجمة أبى العلا عفيفى ط٢ القاهرة ١٣٦٣هـ.
٤٣-المدخل لدراسة القرآن الكريم د/محمد محمد أبو شهبة ط. المطبعة الحديثة.
٤٤-المسيحية :د/ أحمد شلبى ط مكتبة النهضة المصرية.

٤٥-مشكلة الفلسفة -زكريا ابراهيم ط مكتبة مصر.

٤٦-مصرع الدارونية. محمد على يوسف ط. دار الشروق جدة ط ١-١٤٠٣هـ.

٤٧-المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي. محمد مفتاح. ط. المركز الثقافى العربي المغرب بيروت.

٩- مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن، د/نصر حامد أبو زيد، ط. المركز الثقافى الغربي المغرب بيروت ط ٦-٢٠٠٥.

٤٨-الملل والنحل. الشهرستاني. ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ.

٤٩-مناهل العرفان في علوم القرآن. الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط. دار احياء الكتب العربية.

٥٠-مواقف من تاريخ الكنيسة / رولاند بنتون. ترجمة القس عبد النور ميخائيل ط ٢ دار الثقافة القاهرة.

٥١-الموسوعة الفلسفية.د/ عبد المنعم الحفني. ط. بيروت، دار ابن زيدون مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٨٦.

٥٢-النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز. تحقيق وتعليق : عبد الحميد أحمد الدخاخنى.ط. النشر والتوزيع السعودية الرياض ط١.

٥٣-نزعة الأنسنة في الفكر العربي د/ محمد أركون : ترجمة هاشم صالح.ط. دار الساقى بيروت.

٧- النص والسلطة والحقيقة، د/نصر حامد أبو زيد، ط. المركز الثقافي العربي المغرب – بيروت، طبعة ٢٠٠٤.

٥٤-النظرية المادية في المعرفة – روجيه جارودي. ترجمة إبراهيم قريط. ط. دار دمشق للطباعة.

١٠–نقد النص على الحرب ط. المركز الثقافى العربي المغرب بيروت، ط ع – ٢٠٠٥.

٥٥–الـوحي الـمحمدى للسـيد : محمد رشـيد رضـا. ط. المجلـس الأعلـى للشـؤون الإسلامية ٢٠٠٤م.

#!#